

البيعة؛ بيعة الرضوان؛ بيعة العقبة؛ **البيعة**؛ مسجد البيك؛ **البيك والبيغم**؛ **البيمارستان**
مقالات مترجمة لدائرة المعارف؛ أ.د. دلال عباس

البيعة، المعاقدة والمعاهدة والمبایعه على الطاعة للنبي أو الإمام، أو الحاكم أو الخليفة. هذه الكلمة من الجذر بـ يع، بمعنى العطاء والمصافحة باليد اليمنى لإيجاب عقد البيع (ابن منظور؛ الفراهيديّ، الفيوميّ، مادة "بيع"؛ شهیدي، ص 125). الاستعمال. قبل الإسلام، كان من عادة العرب، في أثناء البيع والشراء، أن يتتصافح المشتري والبائع باليد اليمنى، لإتمام عقد البيع نهائياً، والتأكيد على الالتزام بما نصّ عليه، ويُسمى هذا الفعل "البيعة"، أو "الصنفقة"، ومعناه أن المعاملة قد أنجزت. كان من السائد كذلك أن يتصافح أفراد الجماعة أو القبيلة الحاكم أو رئيس القبيلة، تعبيراً عن تعهدهم بطاعته وتنفيذ أوامرها. وقد سُمي هذا الفعل **بيعة لشبيهه بالبيعة** في عقد البيع (ابن خلدون، ص 209؛ الكثاني، مج 1، ص 221-222؛ شهیدي، م.ن، ص.ن؛ د. الإسلامية، الطبعة الثانية، مادة "بيع"؛ الزحيلي، مج 6، ص 684).

على هذا الأساس عدّ عدد كبيرٍ من المحققين المعنى الاصطلاحي لكلمة **البيعة** في النصوص والمصادر الإسلامية، مصافحة الشخص باليد اليمنى تعبيراً عن الإذعان لطاعته أو رئاسته (شهیدي، م.ن، ص.ن؛ الشهري، ص 155؛ الفراهيديّ، معلوم، مادة "بيع"). تدرجياً طرأ الكثير من التغيير والتتوّع في مظاهر **البيعة**، وأطلقت هذه التسمية تاليًا على العقد أو التعهد الذي جاء هذا الفعل معبراً عنه ودليلًا عليه، وشاع، وصار متداولاً بهذا المعنى الثاني. من هنا يجب حسبان المعنى الشائع والاصطلاحي للبيعة في القرآن والسنة والتاريخ وعلم الكلام، والفقه السياسي الإسلامي، المعاهدة أو العقد الذي يبرمه المبایع مع الإمام، أو الحاكم، أو غيره، على أن يطیعه في أمر محدد، أو أن يطیعه طاعة مطلقة، ويخضع له، ويلتزم بما ينصّ عليه التعهد، وفيه به (ابن منظور؛ ابن الأثير؛ معلوم، مادة "بيع"؛ مكارم الشيرازي، مج 1، ص 517؛ السبحاني، 1985، ص 261؛ نفسه، 1412هـ، مج 4، ص 63؛ القاسمي، مج 1، ص 273؛ عبد المجيد، ص 17-18؛ عنيت، 1983، ص 24).

تاریخیاً. كان تقليد **البيعة**، قبل الإسلام، شائعاً، تعبيراً عن الموافقة على سيادة رئيس القبيلة، أو تعيين شخص ما في منصب مهم (سبحاني، 1985؛ شهیدي، م.ن، ص.ن). أشار الطبراني (مج 2، ص 255-256) إلى مبایعة قريش وبني كنانة قصي بن كلاب، الجد الأعلى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، حين قرر إخراج خزاعة من مكة. أقرَّ النبي مبدئياً هذا التقليد، أو هذه العادة الاجتماعية، وأول بيعة في السيرة النبوية، **بيعة الإمام علي** والسيّدة خديجة عليهما السلام النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، على الإسلام (← المجلسي، مج 65، ص 392-393؛ الحر العاملي، مج 1، ص 281). مع ذلك، عدّ ابن شهر آشوب (مج 2، ص 21، 24) "بيعة العشيرة" أول بيعة في تاريخ الإسلام، في السنة الثالثة في "يوم الدار". يومئذ طلب النبي بأمر من ربّه إلىبني هاشم أن يبايعوه على الإسلام، وتتصُّن الأحاديث لدى أهل السنة والشيعة، على أنّ علياً، وحده، هو الذي بايع النبي، وكان أصغر الحاضرين سنّاً (الطبراني، مج 2، ص 319-321). **البيعتان الآخريان** المهمتان اللتان عقدتا في مكة هما: **بيعة العقبة الأولى** في السنة الثانية عشرة من

البعثة، وبَيْعَةِ العَقْبَةِ الثَّانِيَةِ فِي السَّنَةِ الْثَالِثَةِ عَشَرَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ، وَبَيْعَتَانِ كُلَّتَاهُما جرَتَا فِي مَوْسِمِ الْحَجَّ، فِي الْمَوْضِعِ الْمُسَمَّى لِلْعَقْبَةِ (وَهُوَ فِي مَنْتَصَفِ الْطَّرِيقِ بَيْنَ مَكَّةَ وَمَنْيَى)، وَقَدْ أَسْفَرَتِ الْبَيْعَتَانِ، لَا سِيمَّا الثَّانِيَةِ مِنْهُمَا عَنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ (← بَيْعَةُ الْعَقْبَةِ، أَيْضًا الْمَجْلِسِيُّ، مَجْ 19، ص 23-26؛ الطَّبَرِيُّ، مَج 2، ص 361-366؛ الْقَاسِمِيُّ، مَج 1، ص 253-257).

مِنْ ضَمْنِ الْبَيْعَاتِ الَّتِي جَرَتْ فِي الْمَدِينَةِ بَيْعَةُ الْمُسْلِمِينَ لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَرَرَ التَّوْجِهُ إِلَى بَدْرٍ فِي أَوَّلِ الْهِجْرَةِ (الْمَجْلِسِيُّ، مَج 65، ص 395). بَيْعَةُ الرَّضْوَانَ * أَوْ بَيْعَةُ الشَّجَرَةِ أَيْضًا حَدَثَتْ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ فِي الْحَدِيبِيَّةِ (الْمَاجِلِسِيُّ، مَج 20، ص 317-377؛ الطَّبَرِيُّ، مَج 2، ص 632-633). وَرَدَ الْحَدِيثُ عَنْ هَذِهِ الْبَيْعَةِ فِي الْآيَتَيْنِ 10 وَ 18 مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ، وَقَدْ وُصَفَتْ مَبَايِعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْآيَةِ 10، بِأَنَّهَا مَبَايِعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذَمَّ مِنْ يَنْكِثُ الْبَيْعَةَ، أَمَّا مِنْ يَفِي بِالْبَيْعَةِ وَالْعَهْوَدِ فَلَهُ أَجْرٌ فِي الْحَيَاةِ الْأُخْرَى. فِي الْآيَةِ 18 إِعْلَانٌ عَنْ رِضَا اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْبَيْعَةِ، وَوَعْدٌ بِالنَّصْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَأْيَعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْمَرَادُ بِالنَّصْرِ فَتْحُ خَيْرٍ، كَمَا يَرِى مُعَظَّمُ الْمُفَسِّرِينَ، أَوْ فَتْحُ مَكَّةَ كَمَا يَرِى الْبَعْضُ.

الْبَيْعَةُ الْأُخْرَى هِيَ مَبَايِعَةُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدِ فَتْحِ مَكَّةَ (← مَكَّةَ) فِي السَّنَةِ 8 لِلْهِجْرَةِ، وَالَّتِي تَشِيرُ إِلَيْهَا الْآيَةُ 12 مِنْ سُورَةِ الْمُمْتَحَنَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، طَلْبٌ إِلَى النَّبِيِّ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْعَةَ مِنْ نِسَاءِ مَكَّةَ الْلَّوَاتِي أَمِنَّ. اشْتَهِرَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ فِي كُتُبِ النَّقْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّارِيخِ بِاسْمِ (بَيْعَةِ النِّسَاءِ)، وَقَدْ بَاعَ النِّسَاءُ النَّبِيَّ عَلَى: أَنْ لَا يُشْرِكَنَ، وَلَا يُسْرَقَنَ وَلَا يُزَنَّنَ، وَلَا يُقْتَلَنَ أَوْ لَادْهَنَ، وَلَا يُنْسَبَنَ مَا فِي بَطْوَنَهُنَّ لِغَيْرِ أَبَائِهِمْ، وَأَنْ يُطْعَنَ النَّبِيُّ وَلَا يُخَالِفَهُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ (الْحَرَّ الْعَامِلِيُّ، مَج 14، ص 152-153؛ الطَّبَرِيُّ، مَج 3، ص 61-62؛ الْمَجْلِسِيُّ، مَج 21، ص 97-99، 113، 134؛ الْبَخَارِيُّ، مَج 8، ص 125، أَيْضًا حَوْلَ بَيْعَةِ النِّسَاءِ ← الطَّبَرِسِيُّ، 1408هـ؛ الْطَّبَاطِبَائِيُّ؛ الزَّمْخَشِرِيُّ؛ الْفَرَطِبِيُّ، الْمَادَّةُ نَفْسَهَا). آخِرُ بَيْعَةٍ جَرَتْ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِحَسْبِ بَعْضِ الْمَصَادِرِ (← الْمَجْلِسِيُّ، مَج 37، ص 133، 138، 142، 202-203، 217)، هِيَ بَيْعَةُ الْمُسْلِمِينَ لِإِلَمَامِ عَلَيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشرَةِ لِلْهِجْرَةِ فِي مَوْضِعِ اسْمِهِ غَدِيرُ خَمٌّ؛ وَكَانَ مَوْضِعُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ، وَلَأَيَّةُ الْإِلَمَامِ عَلَيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَضْلًا عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، يُعْبَرُ مَضْمُونُ بَعْضِ الْآيَاتِ الْأُخْرَى، أَوْ سَبْبُ نَزْوِلِهَا، عَنِ الْبَيْعَةِ. قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ بِشَأنِ نَزْوِلِ الْآيَةِ 91 مِنْ سُورَةِ النَّحْلِ (وَأُوفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ...)، إِنَّ هَذِهِ الْآيَةِ تَخَاطِبُ الَّذِينَ بَأْيَعُوا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ (← الطَّبَرِسِيُّ، 1408هـ؛ نَفْسَهُ، 1379هـ؛ الزَّمْخَشِرِيُّ، الْآيَةُ نَفْسَهَا). وَرَدَ هَذَا الرَّأْيُ نَفْسَهُ فِي بَعْضِ الْتَّقَافِسِيرِ شَرْحًا لِلْآيَةِ 15 مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ...) (الطَّبَرِسِيُّ، 1408هـ؛ الْطَّبَاطِبَائِيُّ، تَقْسِيرُ الْأَيَّةِ؛ النَّكْثُ فِي الْآيَةِ 12 مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ بِمَعْنَى نَقْضِ الْبَيْعَةِ (← الْطَّبَاطِبَائِيُّ؛ الزَّمْخَشِرِيُّ، تَقْسِيرُ الْآيَةِ).

استمرّ تقليد البيعة أيضًا بعد وفاة النبيّ صلّى اللهُ وَآلُهُ وَسَلَّمَ. لكنّ ما وَسَمَ تلك البيعات اختيارً شخص خليفة للنبيّ وحاكمًا للمسلمين، ومن ثُمَّ تباعيَّة مجموعَةٍ خاصةً، أو بيايَّة الناس جميعًا. ما جرى في السقيفة شكل نقطة البداية في هذا التحوّل، ففي يوم وفاة النبيّ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ وَسَلَّمَ قام عدُّ من المسلمين، منهم عمرُ بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، وبعض زعماء المهاجرين والأنصار في موضع يُسمّى سقيفة بني ساعدة بمبایعه أبي بكر خليفة للرسول، ثمَّ بيايَّه عدُّ من الناس، وأخذت البيعة من آخرين بالقوّة (→ التستري)، مج 6، ص 288-289؛ المسعودي، مج 2، ص 307-309). وعلى هذا النحو جرت في ما بعد البيعة لل الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رض)، وأصبحت تقليدًا سياسيًّا (المسعودي، مج 2، ص 312، 340؛ الزحيلي، مج 6، ص 689-691). كذلك بعد أن أصرَّ الناس على الإمام عليّ عليه السلام، وافق على تولي زمام الأمور، فبایعه المسلمون في المسجد (ابن شهرآشوب، مج 3، ص 195؛ المسعودي، مج 2، ص 358؛ الزحيلي، مج 6، ص 692؛ الطبرى، مج 4، ص 427)، وبعد استشهاده عقدوا البيعة للإمام الحسن عليه السلام (ابن شهرآشوب، مج 4، ص 28؛ الطبرى، مج 5، ص 158). من البيعات الأخرى لأنّة الشيعة عليهم السلام، يجدر بنا أن نذكر بيعة عدد كبير من أهل الكوفة لمسلم بن عقيل نيابةً عن الإمام الحسين عليه السلام (المسعودي، مج 3، ص 64؛ ابن شهرآشوب، مج 4، ص 91)، وكذلك بيعة أهل خراسان للإمام الرضا عليه السلام وللّيًّا لعهد المأمون العباسى (→ المجلسى، مج 49، ص 144، 146، مج 64، ص 184-186؛ الطبرى، مج 8، ص 554).

من الجدير ذكره أنَّ الأحاديث لا سيما الأحاديث الشيعيَّة، قد تطرّقت بالتفصيل إلى هذه البيعات، بحيث أنَّ بعض المجامع الحديثية قد أفردت أبواباً خاصةً لموضوع البيعة، وتتضمن هذه الأحاديث أحياناً مباحث كلامية (على سبيل الأمثلة → البخاري الجعفى، مج 8، ص 122-126؛ المجلسى، مج 20، ص 317 وما بعدها، مج 27، ص 67-73، مج 29، ص 3-66، 91-97، مج 30، ص 443-470، مج 32، ص 5-148). فضلاً عن ذلك، وردت أحاديث أخرى حول البيعة، منها ما يتعلّق بحرية نقض البيعة (→ تتمّة المقالة)، وببعضها الآخر عدَّ لمس الحجر الأسود بمنزلة بيعة النبيّ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ وَسَلَّمَ (الحرّ العاملى، مج 9، ص 406).

أنواع البيعة. يتبيَّن من المعنى اللغوي للبيعة أنَّها كانت تتم بالمصادفة أو الضغط باليد اليمنى؛ وكما ذكر اللغويون، كانت هذه الطريقة متداولةً أيضًا في القسم (الحَلَف) والتعاقد، وقالوا إنَّ ذلك كان سبب تسمية القسم باسم "اليمين" (→ اليمين*)؛ كما كان سبب تسمية البيعة باسم "الصَّفْقَة" (المجلسى، مج 2، ص 266، مج 27، ص 68؛ → ابن منظور؛ الفراهيدي؛ الفيومي، م. ن، صص. ن). وُصفت بيعة الرجال في سيرة الرسول الأكرم على هذا النحو أيضًا (المجلسى، مج 20، ص 367، مج 37، ص 133، مج 65، ص 392، نهج البلاغة، الخطب 8، 137، 170، 229). عدَّ بعض المفسّرين عبارة "يد الله فوق أيديهم" في الآية 10 من سورة الفتح إشارة إلى تحقّق البيعة بالمصادفة (الطباطبائى، تفسير الآية). مع ذلك كله وردت في

الأحاديث أنواع أخرى من البيعة (اللاظف على هذه الأشكال من البيعة، من بين المصادر ← المجلسي، ماج 49، ص 144، 146، ماج 64، ص 184-186). كما أنَّ البيعة تتم أحياناً بإعلان البائع رضاه، ومن دون المصادفة (شهيدي، ص 127؛ عبد المجيد، ص 23-24). تمَّت بيعة النساء للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلم على نحو آخر؛ فقد جاء في بعض الأحاديث أنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم، وضع يده في أول الأمر في وعاء فيه ماء، وفعلت النساء مثله (← الطبراني، ماج 3، ص 62؛ المجلسي، ماج 21، ص 99، 113، 117، 134، ماج 64، ص 184، 187، 188). ورد في آيات أخرى أنَّ المصادفة في بيعة النساء تمت بأيدي غطتها الأثواب (← الطبرسي، 1408هـ؛ الزمخشري، سورة المتحنة: 12). أوردت بعض الأحاديث كذلك أنَّ بيعة النساء للنبي اقتصرت على المبایع الكلامية واللفظية (الطبرسي؛ الطبراني، م. ن، صص. ن؛ الكتاني، ماج 1، ص 222؛ البخاري الجعفي، ماج 8، ص 125، باب بيعة النساء). فضلاً عن ذلك، ذكر في بعض الأحاديث أيضاً أشكالاً أخرى لبيعة النساء (المفيد، ص 63). يقول القاسمي (ماج 1، ص 277-278): إننا إذا استثنينا المرات المعدودة التي بايعت النساء فيها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم ومنها بيعة العقبة الثانية، وبيعة الرضوان، وفتح مكة (الطبراني، ماج 2، ص 361-362، 632-633، ماج 3، ص 61-62). لا وجود لأي روایة تحكي عن بيعة النساء في عهود الخلفاء والحكام، ويبدو أنَّ البيعة في ما بعد قد اقتصرت على الرجال.

في تصنيف عامٍ للبيعات التي عقدها النبي يرى ابن شهر آشوب (ماج 2، ص 21) أنها نوعان: البيعة الخاصة والبيعة العامة. الخاصة لمجموعة معينة مثل بيوعة الأنصار في العقبة، وبيعة العشيرة؛ أمّا البيعة العامة فللعلوم كبيعة الشجرة (أيضاً ← فاكر المبidi، ص 183-186).

كان للبيعة كما جاء في المصادر الحديثية والتاريخية صيغة تصنُّ على موضوعها، ينطوي بها المبایع عادةً (على سبيل الأنماذج ← المجلسي، ماج 19، ص 26، ماج 21، ص 98، 113، ومج 65، ص 392-393، 395). كانت البيعة أحياناً مشروطة على نحو ما، أي تتضمن تعهداً لمصلحة المبایع. وأحياناً كان الموضوع الأساسي للبيعة يُعبر عنه بالشرط (الكتاني، م. ن، ص. ن). يبدو أنَّ بيعة العشيرة، هي البيعة الوحيدة في سيرة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم، التي كانت مشروطة، إذ اشترط فيها خلافة المبایع ووصيَّته (ابن شهر آشوب، ماج 2، ص 25؛ الطبراني، ماج 2، ص 321). يلاحظ في بيعة بعض الخلفاء أحياناً شروط، منها شرط العمل بكتاب الله وسنة نبيه (القاسمي، ماج 1، ص 274؛ الرحيلي، ماج 6، ص 691؛ البخاري الجعفي، ماج 8، ص 122).

كانت البيعة تُعقد أحياناً بواسطة وكيل المبایع أو نائبه، من ذلك بيعة النساء الإمام عليٌّ عليه السلام نيابةً عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم في الحدبية (المفيد، م. ن، ص. ن)، وبيعة أهل الكوفة مسلماً بن عقيل نيابةً عن الإمام الحسين عليه السلام (المسعودي، ماج 3، ص 64؛ المجلسي، ماج 44، ص 335-336)، وكذلك بيعة الرسول الأكرم نيابةً عن عثمان في الحدبية، وكان صلَّى الله عليه وآله

وسلم هو الطرف الآخر في تلك البيعة (← المجلسي، مجل 2، ص 367؛ القاسمي، مجل 1، ص 289). طرحت كذلك بعد اتساع رقعة البلدان الخاضعة لسلطة الدولة الإسلامية، ورواج تقليد أخذ البيعة للخلفاء قضية بيوعة أهالي البلدان الخاضعة للحكومة المركزية (= الأقاليم)؛ فقد كان أهالي تلك الأقاليم أو الولايات يُبايعون عادةً الحاكم المحلي نيابةً عن الخليفة (القاسمي، مجل 1، ص 289-290؛ شهيدى، م. ن، ص. ن).

استمرّت عادةً البيعة لل الخليفة في العصرين الأموي والعباسي، إنما لحقتها تغييرات في الشكل والمضمون. على الرغم مما صاحب أخذ البيعة من إكراه أحياناً في عهد الخلفاء الأوائل، بدأ منذ استلام معاوية للحكم تغيير في عناصر البيعة شكلاً ومضموناً؛ ويعتقد عدد كبير من كتاب أهل السنة أنَّ معاوية كان يلجأ إلى مختلف الأساليب التي تساعده على تدعيم خلافته، وتنبيت سلطة عائلته، وأخذ البيعة لنفسه ولابنه يزيد، كاستغلال السلطة والنفوذ، والتهديد والوعيد، والوعود والإغراءات المختلفة، كالإغراء بالحكم، وبث الخلاف والفرقة بين الناس، وحبك المؤامرات (← القاسمي، مجل 1، ص 281-287؛ عبد المجيد، ص 60-61). بالتدرج خالط الإكراه والإجبار ماهية البيعة، وما طرح في الواقع كان أخذ البيعة وليس المبايعة الحرّة، أو النابعة من إرادة المُبَايِع ومشيئته (الكتاني، مجل 1، ص 223؛ المسعودي، مجل 3، ص 79: "وابياع الناس على أنهم عبيد لزيد")؛ كذلك فإنَّ يزيد أمرَ عامله على المدينة، الوليد بن عتبة، أنْ يقبض على الحسين عليه السلام وعبيد الله بن الزبير وبضعة أشخاص آخرين ليُبايعوا، أو يرسل إليه رأس من يرفض (الطبرى، مجل 5، ص 338). لقد نَحَتَ البيعة في هذا العصر منحى تشريفياً كمالياً، وجرت العادة أيضاً أنْ تؤخذ البيعة لل الخليفة الجديد في بداية حكمه تعبيراً عن الطاعة والإخلاص له (على سبيل الأمثلة ← الطبرى، مجل 7، ص 311 ، مجل 6، ص 423)، وكانت البيعة تؤخذ أيضاً في حياة الخليفة لولي عهده، أو لأولياء عهده (م. ن، مجل 7، ص 295، مجل 5، ص 301، مجل 6، ص 531-532؛ المسعودي، مجل 4، ص 210-211). وكثيراً ما كانت البيعة تؤخذ لل الخليفة في بداية حكمه مقابل الكثير من الوعود والأعطيات، فقد بلغت نفقات بيوعة المقتدر العباسى ثلاثة ملايين دينار. فضلاً عن ذلك، كان الخليفة بعد أنْ يستقر حكمه يوزع مقابل البيعة مبالغ من المال للجند باسم "رزق البيعة" (← القاسمي، مجل 1، ص 286). ويبدو أنَّ الراغب الإصفهانى (مادة "بيع") فسرَ البيعة من خلال هذا المفهوم حين قال إنها "بذل الطاعة مقابل القليل من العطاء". وردت أخبار البيعة المختصة بالقادة العسكريين وبجند الخليفة في العصر العباسى منذ عهد المنصور والمهدى وعيسى (القاسمي، مجل 1، ص 290-291). كان الخليفة نفسه أحياناً هو الذي ينقض البيعة المأخوذة لولي عهده، ويُعين آخر مكانه ولائياً للعهد (← الطبرى، مجل 8، ص 9). شكلياً أيضاً طرأت تغييرات على البيعة. فعلى الرغم من أنَّ تقليد المصافحة بالأيدي قد ظلَّ معمولاً به لمدة طويلة، كانت البيعة في العصر الأموي تتضمن "الاستخلاف" على العهد، وقد أقرَّ الحاج أيماناً خاصةً سماها

"أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ"، كانت تُقرَّر في أثناء المُبايعة وتنضمّ عدداً من عبارات القسم (← ابن قدامة، مج 11، ص 330؛ ابن خلدون، ص 209؛ الكتّاني، م. ن، ص. ن). يقول ابن خلدون (م. ن، ص. ن): "أَمّا الْبَيْعَةُ الْمُشْهودَةُ لِذلِكِ فَهِيَ تَحْيَةُ الْمُلُوكِ الْكُسْرُوِيَّةِ مِنْ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ أَوِ الْيَدِ أَوِ الرِّجْلِ، أَوِ الذِّيلِ، أَطْلَقَ عَلَيْهَا اسْمُ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ الْعَهْدُ مجازاً، لِمَا كَانَ هَذَا الْخُضُوعُ فِي التَّحْيَةِ وَالتَّزَامِ الْأَدَابِ مِنْ لَوَازِمِ الطَّاعَةِ وَتَوَابِعِهَا، وَغَلَبَ فِيهِ حَتَّى صَارَتْ حَقْيَةً عُرْفِيَّةً، وَاسْتَغْنَى بِهَا عَنْ مَصَافِحةِ أَيْدِي النَّاسِ الَّتِي هِيَ الْحَقْيَةُ فِي الْأَصْلِ، كَمَا فِي الْمَصَافِحةِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ التَّنْزِيلِ وَالْابْتِدَالِ الْمُنَافِقِينَ لِلرَّئَاسَةِ وَصَوْنِ الْمَنْصَبِ الْمُلُوكِيِّ إِلَّا فِي الْأَقْلَلِ، مَمَّنْ يَقْصُدُ التَّوَاضُعَ مِنَ الْمُلُوكِ فَيَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ مَعَ خَواصِهِ وَمَشَاهِيرِ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ رَعِيَّتِهِ" (← الكتّاني، م. ن، ص. ن)، إِذَا يَرَى ابن خلدون (م. ن، ص. ن)، أَنَّ هَذَا الْعَمَلُ الَّذِي كَانَ عَلَى مَا يَبْدُو عَرْفًا فِي عَصْرِهِ، سُمِّيَ بِاسْمِ الْبَيْعَةِ مجازاً. يُحَكِّي الكتّاني (م. ن، ص. ن) عَنْ نَوْعٍ مِنَ الْبَيْعَةِ الْمُكْتَوَبَةِ الَّتِي كَانَتْ مَتَدَوْلَةً فِي عَصْرِهِ، كَانَ الْمُبَايِعُ فِيهَا يَكْتُبُ نِصَّا يُضْمِنُهُ الْإِقْرَارُ بِسُلْطَةِ الْحَاكِمِ، أَوْ يُدْرَجُ اعْتِرَافُهُ فِي نَصٍّ عَلَيْهِ شَهُودٌ. تَدْلِي النَّصُوصُ التَّارِيْخِيَّةُ (السيوطي، ص 26، الفائدة 20؛ القاسمي، مج 1، ص 291-292) أَنَّ بَيْعَةَ الْخُلُفَاءِ وَالْحُكَّامِ كَانَتْ تَتَضَمَّنُ مَرَاسِمَ وَاحْتِفالَاتٍ خَاصَّةً تَخْتَلُفُ بِالْخِلَافَ بِالْبَلَادَ، مِنْ بَيْنِ الْتَّقَالِيدِ الَّتِي رَاجَتْ عَلَى مَا يَبْدُو مِنْذِ بَدَائِيَّةِ الْعَصْرِ الْأَمْوَيِّ، تَقْليِدُ "تَجْدِيدِ الْبَيْعَةِ"، أَيْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ كَانَ يَأْخُذُ الْبَيْعَةَ مَجَدِّداً لِنَفْسِهِ، أَوْ لَوْلَيِّ عَهْدِهِ، تَرْسِيْخاً لِإِخْلَاصِ النَّاسِ وَإِطْاعَتِهِمْ (د. الإِسْلَامِيَّةُ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، مَادَّةُ "بَيْعٌ").

يَرَى شَهِيدِي (م. ن، ص. ن) أَنَّ تَقْليِدَ الْبَيْعَةِ رَاجٍ فِي جَمِيعِ الْحُكُومَاتِ الَّتِي حَمَلَتْ دُعَوةَ الْخَلَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، كَالْخُوارِجُ وَالْفَاطِمِيِّينَ، وَأَمْوَيِّيِّيَّةِ الْأَنْدَلُسِ، وَحَتَّى العُثْمَانِيِّينَ، وَظَلَّتْ مَتَدَوْلَةً فِي إِيْرَانَ طِيلَةَ الْمَدَّةِ الَّتِي كَانَتْ خَاضِعَةً فِيهَا لِحُكُومَاتٍ تَابِعةً لِلْخَلَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ؛ وَيَبْدُو أَنَّهَا انْقَرَضَتْ بَعْدَ انْهِيَارِ الْخَلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْحُكُومَاتِ، كَانَتْ تَقْليِدَ الْبَيْعَةَ مَوْجُودَةً أَيْضَآ لَدِيِّ أَعْدَاءِ الْخُلُفَاءِ وَالْمُعَارِضِينَ لَهُمْ، كَبَيْعَةِ أَهْلِ الْعَرَاقِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِّيرِ (الْمَسْعُودِيُّ، مج 3، ص 83)؛ الْبَيْعَةُ لِزَيْدِ بْنِ عَلَيِّ بْنِ الْحَسِينِ مِنْ أَصْحَابِهِ (الْطَّبَرِيُّ، مج 7، ص 167، 171)؛ بَيْعَةُ جَمَاعَةِ مِنَ النَّاسِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ فِي أَوَّلِ أَعْصَرِ الْأَمْوَيِّ، وَفِي عَهْدِ الْمُنْصُورِ (الْمَسْعُودِيُّ، مج 3، ص 294، 306)؛ الْبَيْعَةُ الَّتِي أَخْذَهَا أَبُو مُسْلِمُ مِنْ أَهْلِ خَرَاسَانَ لِإِبْرَاهِيمِ الْإِمَامِ (الْطَّبَرِيُّ، مج 7، ص 379-380).

المباحث الكلامية والفقهيّة. اتّخذت لفظة الْبَيْعَةَ بَعْدَ وَفَاتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مفهوماً وَطَابِعاً سِيَاسِيِّينَ، حَتَّى أَنَّ الْبَعْضَ مِنْ أَهْلِ السَّنَّةِ يَقْرَرُونَ أَنَّهَا تَحَوَّلَتْ بَعْدَ بَيْعَةِ السَّقِيفَةِ إِلَى مَصْطَلِحِ سِيَاسِيٍّ (الْقَاسِمِيُّ، مج 1، ص 257 - 258). عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مَصَادِرَ أَهْلِ السَّنَّةِ الْكَلَامِيَّةُ وَالْفَقَهِيَّةُ عَدَّتْ آثَاراً مُهِمَّةً لِمَبَايِعَةِ الْحَاكِمِ، قَلِيلًا مَا أَخْضَعَتْ مَاهِيَّةَ الْبَيْعَةِ لِلْبَحْثِ وَالْتَّحْلِيلِ.

في المصادر الفقهية المتاخرة لدى أهل السنة والشيعة على حد سواء، ظهرت آراء مختلفة حول الماهية الحقوقية للبيعة. كثير منها عدّ البيعة انطلاقاً

من معناها اللغويّ، ولشبّهها بعقد البيع، عقدًا يتضمّن تعهّداً من طرفين، وبالمصطلح الفقهيّ عقد معاوضة، أي أنَّ المُبَايِع يتعهّد في عقد البيعة بأمور مثل اتّباع المُبَايِع وإطاعته، والالتزام بأوامره، والإخلاص له، ويتعهّد المُبَايِع له، أنْ يحكم بالكتاب والسنة، وأنْ يحمي المُبَايِع، ويدير شؤونه بأمانة وإخلاص، وغير ذلك من الأمور (مكارم الشيرازي، مج 1، ص 517؛ السبحاني، 1985م، ص 260؛ نفسه، 1412هـ، مج 4، ص 62؛ منتظرى، مج 1، ص 523؛ بغا، ص 263؛ القاسمي، مج 1، ص 273-274؛ عبد المجيد، ص 18؛ الزحيلي، مج 6، ص 683-684). يرى بعض العلماء أنَّ معنى البيعة كما ورد في الآية 10 من سورة الفتح، هو بيّع الأرواح والأنفس ابتغاء الجنة (ابن شهرآشوب، مج 2، ص 22؛ الطبرسي، 1408هـ، تفسير الآية).

إنَّ التأمل في البيعات التي عُقدت في زمان النبيٍ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ، يؤكّد الماهيّة العقديّة للبيعة، كما يدلُّ من ناحية أخرى على أنَّها جميّعاً كانت بموجب عقد البيعة تضع على عاتق المُبَايِع تعهّداً خالصاً بالالتزام بالإسلام، وبنصرة النبيٍّ، وطاعته، وجهاد الكفار، وما أشبه، ولم تضع في المقابل أيٌّ تعهّد على عاتق النبيٍّ. علمًا أنَّ أحد الأحاديث قد تطرق للكلام على الحقوق المتناسبة للمُبَايِع والمُبَايِع (المجلسى، مج 19، ص 26)، والمُراد بحقوق المُبَايِع استناداً إلى هذا الحديث نفسه، وإلى الآيات القرآنية النصر والثواب الإلهيّان، اللذان هما في الواقع نتيجة وثمرة لعمل المُبَايِعين، بناءً على مفاد تعهّدهم، وليس عوضاً عن الاتفاقيّة في عقد البيعة. في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة (خطبة 34)، ذكر أيضًا العمل بالبيعة فقط في عداد حقوق الحاكم على الناس. والظاهر أنَّ عدداً كبيراً من المحققين قد عدّوا على أساس هذا التحليل نفسه البيعة "عهداً على الطاعة" أو "بذل الطاعة" (ابن خلدون، م. ن، ص. ن؛ الكتّانى، مج 1، ص 222، سبحاني، 1985م، ص 261؛ معرفت، ص 82؛ آصفى، ص 80، 86؛ مكارم الشيرازي، مج 1، ص 519؛ الشهريّانى، ص 155؛ الطباطبائى، مادة الفتح: 10؛ الراغب الإصفهانى، م. ن، ص. ن)؛ وقال البعض إنَّ البيعة عقدٌ غير معوض، ويُشبّه عقد الهبة (عبد المجيد، ص 22)، حتى أنَّ البعض عدّها من مقوله الإيقاع (مكارم الشيرازي، مج 1، ص 517). يرى بعض المؤلفين أنَّ البيعة تتضمّن تعهّداً أحادي الجانب (→ القاسمي، مج 1، ص 276). الجدير قوله إنَّ الحديث قد تطرق أكثر من مرّة في أقوال عليٍ عليه السلام عن حقوق الناس على الحاكم، وعن أهميّة تلك الحقوق (→ الخطيبان 34، 216 والرسائل 26، 45، 53)؛ لكنْ لا يمكن عدّ هذه الحقوق ناجمة عن البيعة.

تتضمّن البيعة بناءً على ماهيّتها العقدية ثلاثة أركان أساسية: المُبَايِع والمُبَايِع له، وموضوع البيعة. وبموجب ماهيّتها العقدية، يجب أنْ يتحلى الطرفان، بناءً على الرأي الفقهيّ، بالشروط الازمة مثل البلوغ، والرشد والعقل (الأصفى، ص 85؛ البخاريُّ الجعفيُّ، مج 8، ص 124، باب بيّعة الصغير). لقد أجازت بعض أحاديث أهل السنة بيّعة الصغير (→ الكتّانى، م. ن، ص. ن). كما اشترطت في بعض الأحاديث استطاعة المُبَايِع (البخاريُّ الجعفيُّ، مج 8، ص 122؛ الأصفى، م. ن، ص. ن). من

ضمن الشروط التي جرى التأكيد عليها في المصادر الفقهية، الإرادة وعدم الإكراه، بالنسبة إلى الطرفين كليهما (عبد المجيد، ص 133-138؛ القاسمي، مج 1، ص 275؛ الشهري، ص 157؛ الأصفي، ص 86). عدّت مصادر أهل السنة البيعة المصحوبة بالإجبار أو الإكراه فاسدة شرعاً، وفي الوقت عينه، عدّت قانونية ونافذة إنْ توافرت فيها الشروط (عبد المجيد، ص 139-140).

إنَّ موضوع عقد البيعة هو المسألة الأساسية التي يدور حولها الخلاف بين الشيعة وأهل السنة. بعد أنْ حدث ما حدث في السقيفية، وجرت للمرة الأولى المبايعة على الخلافة وقيادة الأمة، تصدّى متكلّمو أهل السنة في العصور اللاحقة، لتوسيع المباني والأسس الكلامية للحادثة المذكورة. من هنا، طرحت مصادرهم الكلامية نظرية مفادها أنَّ الإمامة يمكن أنْ تحصل بناء على إرادة الناس و اختيارهم، وذلك بواسطة البيعة، أو أنَّ البيعة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق الإمامة لشخص من الأشخاص (الباقلاني، ص 178؛ البغدادي، ص 279). تطرق بعد ذلك كتاب الفقه السياسي من أهل السنة كالماوردي وأبي يعلى الفراء نظراً لاعتقادهم بأنَّ الإمامة فرعٌ من فروع الدين بدلاً من الأصول (بهذا الصدد ← سبحاني، 1412هـ، مج 4، ص 9-12)، إلى البحث في مؤلفاتهم في شروط البيعة وأثارها الحقيقة على أساس هذه النظرية الكلامية (← الماوردي، ص 7 وما بعدها؛ عبد المجيد، ص 21-22، 73 وما بعدها).

عدّ عدد كبير من فقهاء أهل السنة بيعة المجموعة المسمّاة "أهل الحل والربط*" موجباً لانعقاد الخلافة (حول التسميات الأخرى لهذه المجموعة مثل: أهل الاختيار، وأهل الاجتهاد، وغير ذلك من التعريفات المختلفة ← الزحيلي، مج 6، ص 685-686؛ الماوردي، ص 31-33؛ عبد المجيد، ص 91-101؛ القاسمي، مج 1، ص 266-270). رأى البعض ومن بينهم الأشعري، أنَّ الحد الأدنى من عدد المبايعين اللازم لتحقيق الإمامة رجل واحد، والبعض قال: اثنان، وجماعة قالت ثلاثة، وأخرى خمسة، وأخرون قالوا: أربعون. رأى البعض من دون تحديد عدد معين ضرورة مبايعة أكثرية "أهل الحل والربط"، ورأى آخرون ضرورة مبايعتهم كلّهم، أو ما يُسمى بالإجماع (← الزحيلي، مج 6، ص 685-687؛ الماوردي، ص 33-34؛ عبد المجيد، ص 91، 93؛ القاسمي، مج 1، ص 267-269؛ أيضًا حول نقد هذا الرأي ← الباقلاني، م. ن، ص. ن). يرى بعض أهل السنة على نحوِ مُبّهم أنَّ بيعة مجموعة من أهل الحل والربط كافية (القاسمي، مج 1، ص 268؛ الزحيلي، مج 6، ص 687). يرى بعض فقهاء أهل السنة أنَّ انعقاد الخلافة غير ممكن إلا بالبيعة (← الماوردي، مج 33-35؛ عبد المجيد، ص 74-78؛ البغدادي، م. ن، ص. ن؛ الزحيلي، مج 6، ص 683-684). عدّ عدد من الفقهاء المتأخرین والمعاصرين، فضلاً عن البيعة المذكورة، بيعة عامة الناس ركناً أصلياً لثبوت الخلافة، والبيعة تتمّ على ثلاث مراحل: ترشيح شخص للخلافة، فالبيعة الخاصة أو الصغرى، ثم البيعة العامة أو الكبرى (الزحيلي، مج 6، ص 687، 692؛ عبد المجيد، ص 73-105؛ القاسمي، مج 1، ص 259-260). شرح الماوردي مقدمات البيعة ومراحلها بالكثير من التفصيل (ص 33-37؛ حول هذا الموضوع، وكذلك حول شروط المبايعين والمبايعين، وشروط

صِحَّةُ الْبَيْعَةِ، بِمِنْظَارِ فَقَهَ أَهْلِ السَّنَةِ ← عَبْدُ الْمُجِيدِ، ص 142-148، 308-311 (311). كَذَلِكَ جَرِيَ الْبَحْثُ فِي الْمَصَادِرِ حَوْلَ آثَارِ الْبَيْعَةِ لِشَخْصِيْنِ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ (← الْمَاوَرِدِيِّ، ص 37-38؛ الْأَصْفَىِّ، ص 108-113).

بِالْمِنْظَارِ الشِّيعِيِّ مِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ عَقْدُ الْبَيْعَةِ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَعَلَى فَرَضِ أَنَّا نَعْدُ الْبَيْعَةَ عَقْدًا، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ عَقْدِ الْبَيْعَةِ مَشْرُوِّعًا وَجَائِزًا. فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، يَرَى مُتَكَلِّمُو الشِّيعَةِ مَسْأَلَةَ الْإِمَامَةِ وَخَلَافَةَ النَّبِيِّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الْمَوْضِعَاتِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَبَثَّتْ مِنْ خَلَالِ بَيْعَةِ مَجْمُوعَةِ مِنَ النَّاسِ، أَوِ النَّاسُ كُلُّهُمْ، وَإِنَّمَا مِنْ خَلَالِ الْأَدَلَّةِ الْعُقْلِيَّةِ وَالنَّقلِيَّةِ الْعَدِيدَةِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ (الْمَظْفَرُ، مج 2، ص 25-32؛ السَّبَحَانِيُّ، 1412هـ، مج 4، ص 26-45). يَرَى فَقَهَاءُ الشِّيعَةِ أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْعَمَلَ بِعَقْدِ الْبَيْعَةِ مَلْزُمٌ اسْتَنَادًا إِلَى أَدَلَّةِ لِزُومِ الْوَفَاءِ بِالْعَقْدِ أَوِ الشَّرْطِ مُتَلِّ "أَوْفُوا بِالْعَهْدِ" (الْمَائِدَةُ: 1) (سَبَحَانِيُّ، 1985م، ص 262-263؛ مَكَارِمُ الشِّيرازِيُّ، م.ن، ص.ن؛ الْحَائِرِيُّ، 1414هـ، ص 201-202)، لِكُنَّ هَذِهِ الْأَدَلَّةُ نَفْسَهَا، لَا يَمْكُنُ أَنْ تَهْبَ مَوْضِعَ الْعَقْدِ الْمَشْرُوِّعَةِ، وَإِنَّمَا تَدْلِي فَقْطًا عَلَى لِزُومِ الْوَفَاءِ بِشُرُوطِ الْعَقْدِ الْمَشْرُوِّعَةِ (الْحَائِرِيُّ، 1399هـ، ص 164؛ الْمُوسَوِّيُّ الْخَلَالِيُّ، ص 580؛ الشَّهْرُسْتَانِيُّ، م.ن، ص.ن).

يَرَى عَلَمَاءُ الشِّيعَةِ كَذَلِكَ، أَنَّ مَاهِيَّةَ الْبَيْعَةِ فِي زَمَانِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَعَ الْأَخْذِ فِي الْاعْتِبَارِ مَعْنَى الْفَظْةِ الْلُّغُوِّيِّ، وَنَظَرًا لِلْوُجُوبِ طَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْأَدَلَّةِ الْعُقْلِيَّةِ وَالنَّقلِيَّةِ، لَمْ تَكُنْ إِنْشَائِيَّةً، بَلْ كَانَ لَهَا مَنْحِيَ تَوْكِيدِيِّ فَقْطًا، وَكَانَ الْهَدْفُ مِنْ عَقْدِهَا تَأكِيدُ الْعَمَلِيِّ لِلْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ، وَالْتَّعَهْدُ بِمَسْتَلزمَاتِ الْإِيمَانِ، وَبِتَعْبِيرِ الْبَعْضِ "إِيجَادُ دَافِعٍ جَدِيدٍ لِلنَّصْرَةِ الْنَّبِيِّ وَطَاعَتِهِ"، إِذَا، لَا يَسْتَدِي أَصْلُ مَشْرُوِّعَةِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ، وَتَبُوتُ مَقَامُ وَلَا يَتَّهِي، وَهَذِي وَجُوبُ اتِّبَاعِهِ إِلَى الْبَيْعَةِ (← سَبَحَانِيُّ، 1985م، ص 261-263؛ نَفْسِهِ، 1412هـ، مج 4، ص 63؛ مَكَارِمُ الشِّيرازِيُّ، مج 1، ص 518-519؛ عَلَمُ الْهَدِيِّ، مج 2، ص 150؛ مَنْتَهِيِّرِيُّ، مج 1، ص 526؛ الْحَائِرِيُّ، 1414هـ، ص 200؛ نَفْسِهِ، 1399هـ، ص 173-174؛ أَصْفَىِّ، ص 89-90؛ الْمُوسَوِّيُّ الْخَلَالِيُّ، ص 555، 579)، كَمَا أَنَّ الْجَانِبَ التَّوْكِيدِيَّ لِلْبَيْعَةِ كَثِيرًا مَا يُشَاهِدُ فِي الْبَيْعَاتِ الَّتِي عَقَدَتْ لِلْخَلْفَاءِ، لَا سِيَّما فِي الْحَالَاتِ الَّتِي انْعَقَدَتْ فِيهَا الْخَلَافَةُ، بِنَاءً عَلَى وَصِيَّةِ الْخَلِيفَةِ السَّابِقِ، وَتَعْيِينِهِ لِخَلْفَهُ، كَخَلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وَخَلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (وَهَذِي حَلَفَةُ أَبِي بَكْرِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ← سَبَحَانِيُّ، 1985م، ص 263؛ الْحَائِرِيُّ، 1414هـ، ص 209). يَرَى فَقَهَاءُ الشِّيعَةِ (سَبَحَانِيُّ، م.ن، ص.ن)، أَنَّ نَظَرِيَّةَ أَهْلِ السَّنَةِ هَذِهِ، إِمَّا أَنَّهَا مَسْتَمدَةٌ مِنْ تَقْلِيدِ الْبَيْعَةِ لِشِيخِ الْقَبِيلَةِ لِدِيِّ الْعَرَبِ قَبْلِ الْإِسْلَامِ (حَوْلَ رَأِيِّ بَعْضِ الْمُسْتَشْرِقِيْنِ ← عَبْدُ الْمُجِيدِ، ص 39)، أَوْ مَبْنَيَّةً عَلَى ادْعَاءِ اخْتِيَارِ جَمِيعِ أَوْ بَعْضِ خَلْفَاءِ النَّبِيِّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَرِيقِ الْبَيْعَةِ؛ فِي حِينِ أَنَّ أَيَّاً مِنَ الْأَمْرَيْنِ لَيْسَ سَنَدًا يُعْتَدُ بِهِ.

الْإِشْكَالِيَّةُ الْأُخْرَى لِدِيِّ الْعَلَمَاءِ الشِّيعَةِ بِهَذَا الصَّدَدِ وَجُودِ الْإِجْبَارِ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَلِ الْإِكْرَاهِ فِي مَعْظَمِ حَالَاتِ بَيْعَةِ النَّاسِ لِلْخَلْفَاءِ اسْتَنَادًا إِلَى الْأَحْدَاثِ الْتَّارِيَخِيَّةِ، الَّتِي أَقْرَرَتْ بِهَا حَتَّى بَعْضِ أَهْلِ السَّنَةِ (عَبْدُ الْمُجِيدِ، ص 138؛ الْخَطِيبُ، ص 409-412). فَهَنَالِكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَدَلَّةِ الْتَّارِيَخِيَّةِ وَالْحَدِيثِيَّةِ، الَّتِي تَتَبَثَّتْ أَنَّ الْإِمَامَ

عليّ عليه السلام، وبني هاشم وعدداً من كبار الصحابة لم يُبَايِعُوا أبا بكر (رض) بعد حادثة السقيفة، وقد أكّرّهوا بعد ذلك على المبايعة (← علم الهدى، مج 2، ص 12، 151؛ المسعودي، مج 2، ص 307-309؛ المجلسي، مج 29، ص 36، 91-93، 95). فضلاً عن ذلك، أحد مؤسسي تلك البيعة وصفها بأنّها عمل متسرّع [فلتنة وقى الله المؤمنين شرّها] ولا يجوز تكرارها (← السيوطي، ص 67؛ التستري، مج 6، ص 281-287؛ المجلسي، مج 30، ص 443-470؛ الشهري، ص 156). في هذا السياق لم تحدث أيّ بيعة حرّة، إلاّ في خلافة الإمام عليّ عليه السلام، الذي لم يوافق، على الرّغم من إصرار أصحابه، علىأخذ البيعة الإجبارية، وعدد الذين لم يُبَايِعوا، كما تقول المصادر التاريخية، كان محدوداً جدّاً، ولم يُحرموا من حقوقهم الإجتماعية أو يتعرّض لهم أحد (المسعودي، مج 2، ص 361-362؛ التستري، مج 6، ص 257، 272-273، 301-305).

ادّعى بعض مؤلّفي أهل السنة (عماد الدين الكاتب، ص 14-15؛ القاسمي، مج 1، ص 262-264)، استناداً إلى الخطاب والرسائل الواردة في نهج البلاغة (من ضمنها الخطاب 8، 137، 172، 218، والرسائل 1، 6، 7، 54)، حيث جرى الكلام على كون البيعة ملزمة للناس، حتى أولئك الذين لم يُبَايِعوا، ادعوا أنَّ الإمام عليّ والإمام الحسن عليهما السلام قد وافقا على ثبوت الإمامة بالبيعة (القاسمي، مج 1، ص 265). لكنَّ المحقّقين الشيعة يرفضون هذا الرأي، لأنَّ الإمامة لا تثبت بالبيعة، فضلاً عن أنَّ ما يُعدّ من ضرورات علم الكلام الشيعيّ، ما صرّح به وأكّده عليّ عليه السلام شخصياً (من ذلك ← نهج البلاغة، الخطاب 2، 105، 144، والرسالتان 28، 62، والحكمة 147؛ أيضاً ← التستري، مج 6، ص 262، 271، 294-296). إنَّ هذه الأحاديث من خلال هذا الدليل وغيره من الأدلة (← مكارم الشيرازي، مج 1، ص 523-525)، في حال كانت صحيحة السنّد (حول هذا الموضوع ← الحائرى، 1414هـ، ص 210)، يجب أن تُحمل على مَحْمَلِ الجدل والمناظرة، بهدف الإفحام والإقناع (أيضاً ← أصفي، ص 95). من ذلك، أنَّ الإمام عليّ عليه السلام، قد أكّد في الخطبة 172، وهو يشرح امتناع تأسيس الإمامة على رأي العموم، أنه على افتراض قبول هذا الرأي، فإنَّ الأشخاص الذين لم يحضروا مراسم البيعة ملزمون بقبول رأي المُبَايِعين. جاء هذا الكلام، في معرض الرد على اعتراف المخالفين (من بينهم معاوية)، الذي رفض إماماً عليّ عليه السلام بعد مقتل الخليفة الثالث. يعتقد بعض الفقهاء على الرّغم من أنَّهم يرون أنَّ الأحاديث الآنفة الذكر قد جاءت في معرض الجدال، أنَّ هذه التوضيحات تدل على ثبوت نوع من الولاية، من خلال التنصيب الإلهي، أو الحصول على نوع من السلطة والمسؤولية الشعبية بواسطة البيعة (أصفي، م. ن، ص. ن؛ منظري، مج 1، ص 527؛ الحائرى، 1414هـ، ص 209-210؛ الموسوي الخلالي، ص 554-555).

سعى الكثيرون من الفقهاء والكتّاب المعاصرين من أهل السنة، من خلال شرحهم للبيعة، بصفتها عقد يتضمّن تعهّداً من الطرفين (تعاهد)، ومقارنتها بعقد الوكالة، لجعلها معادلة لنظرية "العقد الاجتماعي" لروسو، الذي يُعدّ من

المبادئ الحقوقية الأساسية في الأنظمة الديمقراطية، وعرضها كنظير لالانتخابات واستطلاع الرأي (الزحيلي، مج 6، ص 684؛ عبد المجيد، ص 106 وما بعدها؛ القاسمي، ص 273-276؛ عنايت، 1983م، ص 232-233، 236؛ نفسه، 1991م، ص 158). على هذا الأساس تكون بيعة الأكثريّة الشعبيّة للحاكم ملزمة للأقلية (القاسمي، مج 1، ص 276). الظاهر أنَّ الشيخ محمد عبده هو أول من طرح هذا الرأي في فقه أهل السنة (عنایت، 1983م، ص 236). لكنَّ هذه النظرية، تعرّضت للنقد، حتى من أهل السنة، أوَّلاً لأنَّ ماهيَّة البيعة، لا سيِّما في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عقدُ أحدٍ التعهد، وليس ثانِي التعهد (عقد الوكالة)؛ ثانِياً ليس بمقدور المُبَايِعِ، لا بالمنظار الفقيهيِّ، ولا عملياً وواقعيًا، أنْ يعزل المُبَايِع له، في حين أنَّ الموكل في عقد الوكالة يملك مثل هذا الحق (مكارم الشيرازي، مج 1، ص 517-518؛ معرفت، ص 90؛ الخطيب، ص 275-286)؛ ثالثاً، بحسب الرأي المشهور لدى أهل السنة، تثبت الحاكمية بعد بيعة أهل الحل والربط، لكنَّ في النظام الديمقراطي، هنالك حق لكلِّ فرد من أفراد الشعب. من هنا، فإنَّ لدى الحاكم في هذا النظام مسؤوليَّة تجاه جميع أبناء الشعب، أمَّا في البيعة فهو مسؤول فقط أمام أهل الحل والربط (الخطيب، ص 286-292)؛ رابعاً، لا دليل على أنَّ بيعة الأكثريَّة ملزمة للأقلية التي لا تُبايع (→ الحائرى، 1414هـ، ص 198-213). يعترف عبد المجيد في أثناء مقارنته بين البيعة ونظرية العقد الاجتماعي بوجود فوارق بينهما؛ من ذلك أنَّ أصلَ مشروعية الدولة في النظام كان أمرًا إلهيًّا، وليس ناجمًا عن البيعة، وإنَّما هو فقط طريقة لإيجاد الحكم الذي يتحقق بالبيعة، وهو مشابه للأنظمة الديمقراطية (ص 347-349). مع ذلك كله، لم يشرح بوضوح الدليل على أنَّ هذه المشروعية الإلهيَّة، في الحكومة التي تتشكل بواسطه البيعة.

على الرَّغم من أنَّ معظم فقهاء الإمامية المعاصرين، لا يقولون إلا بالدور التأكيدِي للبيعة في زمن الإمام المعصوم عليه السلام، يرى بعضهم في شرحه لكيفية إعمال ولایة الفقهاء في عصر غيبة الإمام المعصوم، أنَّ للبيعة دوراً أرفع من مجرد التأييد، أي نوعٌ من الجانب الإنسانيِّ التأسيسيِّ. علمًا أنَّ بعض الفقهاء، لم يُجرروا تفكيرًا بين البيعة في زمان حضور المعصوم، وفي زمان الغيبة (→ مكارم الشيرازي، مج 1، ص 519). فضلاً عن ذلك، يعتقد بعض الفقهاء المعاصرين، بنوع من تحقق الولایة والمشروعية الشعبيَّة للبيعة في عصر الغيبة. وعدد محدود منهم (من بينهم منظري، مج 1، ص 575-576) عدوا البيعة عقد وكالة ملزم، موضوعه إنشاء الولایة، وإعطاء السلطة، وعلى هذا الأساس يرُوُن أنَّ انتخاب الأكثريَّة وبيعتها ملزمٌ ونافذٌ، حتى على الأقلية التي لا تُبايع. أخضع تقسير البيعة بأنَّها عقد وكالة، وكذلك إلزاميَّة مثل هذا العقد للمناقشة والانتقاد (مكارم الشيرازي، مج 1، ص 517-518؛ معرفت، م.ن، ص.ن).

من ضمن الأدلة المعتمدة لإثبات حصول الولایة بالبيعة، فضلاً عن الأحاديث المستلة من نهج البلاغة، هنالك روایات تحذر من نقض البيعة (نَكَث الصفة → الكليني، مج 1، ص 405؛ المجلسي، مج 2، ص 266، مج 27، ص 67-73، مج 64، ص

181-188؛ منتظرى، مج1، ص78، 525-529)، وفرق الجماعة (→ الكليني؛ المجلسى، م. نٌ، ص. ن). أحياناً كان يُستند كذلك لإثبات هذه النظرية، وأنَّ بيَعَةَ الأَكْثَرِيَّةِ مُلْزَمَة لجميع الناس، على سيرة المقصومين عليهم السلام، وسيرة المسلمين، وسيرة العقلاء (منتظرى، ص574-576؛ أصفي، ص92-95).

في المقابل ناقش عدُّ من الفقهاء الأَدْلَةَ المُعْتَمَدةَ، ففي نظرهم نقض بيَعَة حَكَام الباطل والجَوْرِ جائزٌ حَكِيمًا، وأئمَّة الشيعة عليهم السلام - الذين طالما كان اتباعهم وشيعتهم أَقْلِيَّةً. ما كانوا يحسبون البيَعَةَ لأولئك الحَكَام صَحِيقَةً. من هنا قال البعض إنَّهم "جماعة أهل الحق"، وذلك استناداً إلى أحاديث أخرى (→ المجلسى، مج2، ص265-267، مج27، ص67)، وفسر البعض الآخر هذه الأحاديث، وكذلك الأحاديث المتعلقة بحرمة نكث البيَعَة، بأنَّها البيَعَةُ للإمام المقصوم، أو الحمل على التقيَّة، أو الأمر بالتقىَّة، أو حسبوها نوعاً من أنواع المجادلة (الموسويُّ الخلخالي، ص580-581؛ الحائرى، 1399هـ، ص166-168؛ نفسه، 1414هـ، ص211؛ مكارم الشيرازى، مج1، ص519-524؛ منتظرى، مج1، ص528). مما ذكره الحائرى (1414هـ، ص209-213) أنَّ الأحاديث المُعْتَمَدةَ على الرَّغْمِ من أنَّها يمكن أن تكون دالةً بذاتها على ثبوت الولاية بالبيَعَة، لكنَّها لا تستوجب نفوذ البيَعَة بالنسبة إلى الأقلية التي لم تُبايع؛ وهي فضلاً عن ذلك لم تكن موثوقة، حتى أنَّ احتمال كون بعضها موضوعاً احتمال قويٍّ. كذلك فإنَّ الاستدلال بأدلة وجوب الوفاء بالعقد والشرط (→ منتظرى، مج1، ص522؛ معرفت، ص86) قد انْتَقَدَ من بعض النواحي (→ الحائرى، 1399هـ، ص164-165؛ نفسه، 1414هـ، ص202-203؛ الموسويُّ الخلخالي، ص580).

فضلاً عن ذلك، نوقش موضوع الاستناد إلى سيرة النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والأئمَّةِ عليهم السلام، وكذلك سيرة المسلمين، لإثبات دلالة البيَعَة على مشروعية الانتخابات، وتحقق ولادة الحاكم بالنسبة إلى عامَّة الناس (→ الحائرى، 1414هـ، ص199-209). يرى منتقدو النظريَّة المذكورة، أنَّ البيَعَة لا تتيح سوى إمكانية إعمال الولاية للوليِّ الفقيه، ووضعها موضع التنفيذ، لكنَّ أساس مشروعية ولايته إلى هيئة، ومُقرَّة من الشارع (نفسه، 1399هـ، ص173؛ الموسويُّ الخلخالي، ص579-581). يرى بعض هؤلاء الفقهاء (معرفت، ص92-93)، أنَّ مجرد انتخاب الشعب في نطاق الفقهاء - الذي هو في اعتقاد البعض (أصفي، ص92-93) موجب انعقاد الولاية للفقيه، أو البيَعَة - لا يتناهى وكون تنصيب الفقيه إلى هيئة؛ فالفقيه وإنْ لم يكن ليُنتَخب على أساس النصِّ الإلهيِّ، لكنَّ انتخابه يتم بناءً على الأوصاف والشروط اللازمَة للفقيه الحاكم التي وضعها الشارع، واتَّخذ الأمرُ شكلاً من أشكال التنصيب.

المصادر والمراجع: فضلاً عن القرآن؛ محمد مهدي أصفي، ولاية الأمر، طهران 1416هـ/1995م؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ط. طاهر أحمد الزاوي ومحمود أحمد الطناحي، القاهرة 1383-1963هـ/1965م؛ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان

المبدأ والخبر، بيروت 1391هـ/1971م؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ط. هاشم رسولي المحلاوي، قم 1379هـ؛ ابن قدامة، المغني، بيروت 1403هـ/1983م؛ ابن منظور، لسان العرب، قم 1363ش [1984م]؛ محمد بن الطيب الباقلاني، التمهيد في الرد على الملجنة المعطلة والرافضة والخوارج والمعزلة، ط. محمود الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة 1366هـ/1967م؛ محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، اسطنبول 1403هـ/1981م؛ مصطفى بغا، بحث في نظام الإسلام، دمشق 1401هـ/1983م؛ عبد القاهر بن طاهر البغدادي، كتاب أصول الدين، اسطنبول 1346هـ/1928م، ط. أوفست بيروت 1401هـ/1981م؛ محمد تقى التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، طهران [لا تأ.]؛ كاظم الحائرى، أساس الحكومة الإسلامية: دراسة إستدلالية مقارنة بين الديمقراتية والشوري وولاية الفقيه، بيروت 1399هـ/1979م؛ نفسه، ولاية الأمر في عصر الغيبة، قم 1414هـ؛ محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط. عبد الرحيم رباني الشيرازي، بيروت 1403هـ/1983م؛ عبد الكريم الخطيب، الخلافة والإمامية، بيروت 1395هـ/1975م؛ حسين بن محمد الراغب الإصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط. صفوان عدنان الداودي، دمشق 1412هـ/1992م؛ وهبة مصطفى الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق 1404هـ/1984م؛ محمود بن عمر الزمخشري، ال Kashaf عن غوامض حفائق التزيل، بيروت [لا تأ.]؛ جعفر سبحانى، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، بقلم حسن محمد مكي العاملى، مج 4، قم 1412هـ؛ نفسه، مفاهيم القرآن في معالم الحكومة الإسلامية، قم 1364ش [1985م]؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، ط. محمد محبي عبد الحميد، مصر 1378هـ/1959م؛ محمد علي الشهري، مدخل إلى علم الفقه، لندن 1416هـ/1996م؛ جعفر شهیدی، "البیعة وكیفیتها فی التاریخ الإسلامی"، کیهان اندیشه [مجلة کیهان الفکریة]، العدد 26 (مهر و آبان 1368ش [ت₁ و ت₂ 1989م])؛ محمد حسين الطباطبائی، المیزان فی تقسیر القرآن، بيروت 1390-1394هـ/1971-1974م؛ فضل بن الحسن الطبرسي، جوانع الجامع فی تقسیر القرآن المجید، تبريز 1379هـ؛ نفسه، مجمع البيان فی تقسیر القرآن، ط. هاشم رسولي المحلاوي وفضل الله يزدي الطباطبائی، بيروت 1408هـ/1988م؛ محمد بن جرير الطبرى، تاریخ الطبرى: تاریخ الأمم والملوك، ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت [1382-1387هـ/1962-1967م]؛ أحمد فؤاد عبد الجود عبد المجيد، البیعة عند مفكري أهل السنة والعقد الاجتماعي في الفكر السياسي الحديث: دراسة مقارنة فی الفلسفة السياسية، القاهرة 1998م؛ علي بن الحسين علم الهدى، الشافی فی الإمامة، مج 2، طهران 1410هـ؛ علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، نهج البلاغة، ط. صبحي الصالح، بيروت [تاریخ المقدمة 1387هـ]؛ ط. أوفست قم [لا تأ.]؛ حميد عنایت، اندیشه سیاسی در اسلام معاصر

[الفكر السياسي في الإسلام المعاصر]، ترجمه بالفارسية بهاء الدين خرمشاھي، طهران 1362ش [1983م]؛ نفسه، سیری در اندیشه-سياسی عرب [رحلة في الفكر السياسي العربي]، طهران 1370ش [1991م]؛ محمد فاکر میدی، "البيعة ودورها في الدولة الإسلامية"، حکومت اسلامی مجله [الدولة الإسلامية]، السنة 2، العدد 3 (خریف 1376ھ)؛ خلیل بن أحمد الفراہیدی، کتاب العین، ط. مهدی المخزومی وابراهیم السامرائی، قم 1405ھ؛ أحمد بن محمد الفیومی، المصباح المنیر فی غریب الشرح الكبير للرافعی، بیروت [لاتا].؛ ظافر القاسمی، نظام الحكم فی الشريعة والتاريخ الإسلامي، مج 1، بیروت 1405ھ/1985م؛ محمد بن أحمد القرطبی، الجامع لأحكام القرآن، مج 9، ج 18، القاهرة 1387ھ/1967م؛ ط. أوفست طهران 1364ش [1985م]؛ أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشیعی، لندن 1997م؛ محمد بن الحی بن عبد الكبير الكتّانی، نظام الحكومة النبویة المسمى التراتیب الإداریة، بیروت [لاتا].؛ محمد بن یعقوب الكلینی، الكافی، ط. علی أكبر الغفاری، بیروت 1401ھ؛ علی بن محمد الماوردی، الأحكام السلطانية والولايات الدينیة، بیروت 1410ھ/1990م؛ محمد باقر بن محمد تقی المجلسی، بحار الأنوار، بیروت 1403ھ/1983م، مج 29-30، ط. عبد الزهراء علویة، بیروت [لاتا].؛ علی بن الحسین المسعودی، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط. محمد محیی الدین عبد الحمید، مصر 1384-1385ھ/1964-1965م؛ محمد حسن المظفر، دلائل الصدق، بیروت [لاتا].؛ محمد هادی معرفت، ولایت فقیه [ولاية الفقيه]، قم 1377ش [1998م]؛ لویس معلوف، المنجد فی اللغة والأعلام، بیروت 1973-1982م؛ ط. أوفست طهران 1362ش [1983م]؛ محمد بن محمد المفید، الإرشاد، قم [لاتا].؛ ناصر مکارم الشیرازی، أنوار الفقاہة: کتاب البیع، ج 1، قم 1411ھ؛ حسینعلی منتظری، دراسات فی ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، قم 1409-1411ھ؛ محمد مهدی الموسوی الخلالی، حاکمیت در اسلام [الحاکمیة فی الإسلام]، طهران 1361ش [1982م]؛

. (EI² ; s.v. "Bay'a" (by E. Tyan

السيد رضا الهاشمي/

بَيْعَةُ الرَّضْوَانِ، اسْمٌ بَيْعَةٌ جَمَاعَةٌ مِن الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَعْرُوفَةُ أَيْضًا بِاسْمِ الْبَيْعَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجَرَةِ، خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ، تَرَافَقَهُ مَجْمُوعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَا يَحْمِلُونَ سُوْيِ السَّيْفِ فِي أَغْمَادِهَا، يَتَرَاحَ عَدْهُمْ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى أَلْفٍ وَسِتِمِائَةٍ، لِزِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَأَدَاءِ مَنَاسِكِ الْعُمْرَةِ (ابْنُ سَعْدٍ، مَجْ 2، صَ 95؛ الطَّبَرِيُّ، مَجْ 2، صَ 620-621؛ أَبُو الْفَتوْحِ الرَّازِيُّ، مَجْ 17، صَ 337)، حِينَ وَصَلُوا إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ، قَرْيَةً عَلَى بَعْدِ مَنْزِلَةِ مَكَّةَ وَتَسْعُ مَنَازِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ (يَاقُوتُ الْحَمْوَيِّ، مَجْ 2، صَ 222)، قَطَعُ عَلَيْهِمُ الْمَكَّيُّونَ الظَّرِيقَ، وَمَنْعُوهُمْ مِنْ مَتَابِعَةِ السَّيْرِ إِلَى مَكَّةَ أَوْفَدُ النَّبِيُّ أَوْلَ الْأَمْرِ إِلَى مَكَّةَ رَجُلًا يُسَمَّى خِرَاشَ، أَرْكَبَهُ نَاقَتِهِ، لِيَقُولَ لِزَعْمَائِهَا إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَأْتُوا مَحَارِبَيْنِ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ زِيَارَةَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، ثُمَّ يَعُودُونَ؛ لَكِنَّ الْمَكَّيِّينَ تَعْقِبُوَا نَاقَةَ النَّبِيِّ، وَكَانَ هَدْفُهُمْ قَتْلُ خِرَاشَ، فَحَالَ بَعْضُهُمْ دُونَ ذَلِكَ، وَعَادُ خِرَاشُ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وَلَمَّا تَأْخَرَتْ عُودَتِهِ، أَشْيَعَ أَنَّ الْمَكَّيِّينَ قَدْ قَتَلُوهُ. فَجَمَعَ الرَّسُولُ أَصْحَابَهُ، وَبَايِعَهُ هُؤُلَاءِ عَلَى أَرْوَاهِهِمْ. انْعَدَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ تَحْتَ شَجَرَةِ (شَجَرَةُ سُمْرَةِ). عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ عُثْمَانَ لَمْ يُقْتَلُ، وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، صَالَحَ مَبْعَثُو مَكَّةَ النَّبِيِّ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ، وَكَانَ الْقَرَارُ أَنَّ يَعُودَ هَذَا الْعَامَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَيَزُورَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الَّذِي يَلِيهِ (← الْحُدَيْبِيَّةُ؛ صَلَحٌ؛ ابْنُ سَعْدٍ، مَجْ 2، صَ 95-97؛ ابْنُ هَشَامٍ، مَجْ 2، صَ 781-782؛ الطَّبَرِيُّ، مَجْ 2، صَ 631-632؛ حَسَنُ ابْرَاهِيمَ حَسَنٍ، مَجْ 1، صَ 127؛ أَبُو الْفَتوْحِ الرَّازِيُّ، مَجْ 17، صَ 336-337).

ذُكِرَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ فِي الْقُرْآنِ فِي الْآيَةِ 18 مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ، وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ اسْتُمَدَّ الْاسْمُ بَيْعَةُ الرَّضْوَانِ وَبَيْعَةُ الشَّجَرَةِ: **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا**. اشْتَهَرَ الْمُبَايِعُونَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَصْحَابِ الشَّجَرَةِ. هَذِهِ الْمَسْجَدُ كَانَ قَائِمًا فِي المَوْضِعِ الَّذِي عُقِدَتْ فِيهِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ (ابْنُ سَعْدٍ، مَجْ 2، صَ 99-101).

المصادر والمراجع: فضلاً عن القرآن؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت 1405هـ/1985م؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ط. سهيل زكار، بيروت 1412هـ/1992م؛ حسين بن علي أبو الفتوح الراري، روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، ط. محمد جعفر ياحقي ومحمد مهدي ناصح، مشهد 1365-1375ش [1986-1996م]؛ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مج 1، القاهرة 1964م، ط. أوفرست بيروت [لا تا.]؛ محمد بن جرير الطبرى، تاريخ الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ط. محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت [1382-1387هـ/1962-1967م]؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. فردinand ووستفلد، لايبزيغ 1866-1873م، ط. أوفرست طهران 1965م.

/السيد جعفر شهيدى/

بَيْعَةُ الْعَقْبَةِ. اسم البَيْعَتَيْنِ اللَّتِيْنِ بَايَعَ بَهْمًا أَهْلَ يَثْرَبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. الْعَقْبَةُ هِيَ الْجَبَلُ الطَّوِيلُ يَعْرُضُ لِلنَّطْرِيقِ فَيَأْخُذُ فِيهِ، وَالْمَرْقَى الصَّعُبُ مِنَ الْجَبَلِ. الْمَوْضِعُ الَّذِي بُوَيْعَ فِيهِ النَّبِيُّ مَرْتَيْنَ، وَهِيَ عَقْبَةُ بَيْنِ مِنْيَ وَمَكَّةَ، قَرِيبَةٌ مِنْ مِنْيَ وَبَعْدَ وَاقْصَةَ، وَفِيهَا مَاءُ لَبْنِي عَكْرَمَةَ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ نَحْوَ مِيَلَيْنَ [خَمْسَةَ كِيلُومِترَاتَ] (يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ، مَجَ 3، صَ 692-693).

بِوْفَاهُ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ النَّبُوَيَّةِ، فَقَدِ النَّبِيُّ مِنْ نَاحِيَةِ الْحَامِيِّ وَالْمَعِينِ، وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، اشْتَدَّ أَذْى الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِ (الْطَّبَرِيُّ، مَجَ 2، صَ 343-344؛ ابْنُ هَشَامَ، مَجَ 1، صَ 280؛ حَسَنَ ابْرَاهِيمَ حَسَنَ، مَجَ 1، صَ 91). فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشَرَةَ لِلْبَعْثَةِ التَّقِيَّةِ سَتَّةَ مِنْ أَهْلِ يَثْرَبَ (الْمَدِينَةِ). قَالَ الْبَعْضُ إِنَّ مَوْضِعَ هَذَا الْلَّقَاءِ كَانَ بِالْقَرْبِ مِنْ تِلْكَ الْعَقْبَةِ (يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ، مَجَ 3، صَ 693؛ الْطَّبَرِيُّ، مَجَ 2، صَ 353؛ حَسَنَ ابْرَاهِيمَ حَسَنَ، مَجَ 1، صَ 94؛ ابْنُ سَعْدَ، مَجَ 1، صَ 218؛ ابْنُ هَشَامَ، مَجَ 1، صَ 289؛ الْبَلَادُرِيُّ، مَجَ 1، صَ 275)، وَقَالَ آخَرُونَ فِي مِنْيَ (ابْنُ سَعْدَ، مَنْ، صَ .ن.). كَانَ هُؤُلَاءِ السَّتَّةَ مِنَ الْخَزْرَاجِ (قَارِنٌ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ، مَنْ، صَ .ن.). سَأَلُوهُمُ النَّبِيُّ عَنْ هُوَيْتِهِمْ، فَقَالُوا لَهُ إِنَّهُمْ مِنَ الْخَزْرَاجِ؛ سَأَلُوهُمُ النَّبِيُّ، أَنْتُمْ مِنْ حَلَفَاءِ الْيَهُودِ وَمَعَاهِدِهِمْ، فَقَالُوا نَعَمْ. فَأَخْذَ النَّبِيُّ يَحَاوِرُهُمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَمْنَعُوهُ كَمَا سَمِعَهُ أَهْلُ يَثْرَبِ مِنَ الْيَهُودِ عَنْ قَرْبِ ظَهُورِ النَّبِيِّ فِي مَكَّةَ، قَدْ لَفَتَ اِنْتِبَاهَهُمْ إِلَى النَّبِيِّ [فَقَالُوا: هَذَا وَاللهِ النَّبِيُّ الَّذِي تَعَدَّنَا بِهِ الْيَهُودُ، يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا فِي تُورَاتِهِمْ]، وَقَدْ وَلَدَ ذَلِكَ الْأَمْلَ لِدِيهِمْ فِي أَنْ يَضُعَ حَلْوَهُ بَيْنَ ظَهَارِنِهِمْ حَدًّا لِلْعَدَاءِ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَاجِ (اللَّاطِلَاعُ عَلَى الْحَرْبِ بَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ ← بُعَاثُ). حِينَ عَادُوا إِلَى يَثْرَبِ ذَكَرُوا أَمْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَجَابُوهُمْ نَاسٌ وَفَشَّا فِيهِمُ الْإِسْلَامُ.

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشَرَةَ مِنَ الْبَعْثَةِ النَّبُوَيَّةِ وَافَى مَوْسِمُ الْحَجَّ مِنْهُمْ اثْنَا عَشْرَ رَجُلًا، هُؤُلَاءِ السَّتَّةِ وَسَتَّةَ آخَرُونَ، مِنْ سَبْعَةِ بَطُونَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَاجِ، التَّقَوُا النَّبِيُّ فِي الْعَقْبَةِ، فَآمَنُوا وَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا النَّبِيَّ عَلَى أَنْ لَا يُشَرِّكُوا بِعِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا، وَلَا يُسْرِقُوا، وَلَا يَرْزُنُوا، وَلَا يَقْتُلُوا أُولَادَهُمْ، وَلَا يَأْتُوا بِالْبَهَانَ، وَأَنْ يَطِيعُوا الرَّسُولَ لِمَا فِيهِ خَيْرٌ لَهُمْ؛ فَإِنْ وَفَوا بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُمْ، وَإِنْ نَقْضُوهَا، فَعَلَى اللهِ حِسَابِهِمْ، إِمَّا أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، أَوْ يَعْذِبُهُمْ. أَطْلَقَ عَلَى هَذِهِ الْبَيْعَةِ اسْمُ بَيْعَةِ النِّسَاءِ (حَسَنَ ابْرَاهِيمَ حَسَنَ، مَجَ 1، صَ 94-95؛ الْبَلَادُرِيُّ، مَجَ 1، صَ 275-276؛ ابْنُ هَشَامَ، مَجَ 1، صَ 289-291، 293؛ ابْنُ سَعْدَ، مَجَ 1، صَ 220؛ الْطَّبَرِيُّ، مَجَ 2، صَ 353-357). هَذَا مَنْ قَالَ إِنَّ هَذِهِ الْبَيْعَةَ قَدْ سُمِّيَتْ بَيْعَةَ النِّسَاءِ لِأَنَّ عَفْرَاءَ ابْنَةَ عَبِيدَ بْنَ ثَعْلَبَةَ كَانَتْ فِي عَدَدِ الْمُبَايِعِينَ، وَكَانَتْ أَوَّلَ امرأَةَ تَبَايَعُ النَّبِيَّ (حَسَنَ ابْرَاهِيمَ حَسَنَ، مَجَ 1، صَ 95). لَكِنْ، يَبْدُو أَنَّ تَخْرِيجَ هَذِهِ التَّسْمِيَّةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ، لَا أَسَاسٌ لَهُ مِنَ الصَّحَّةِ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ ضَمْنِ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ نِسَاءً، وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ الْبَيْعَةَ نَصَّتْ أَنَّ يَكُونَ النَّبِيُّ وَاحِدًا مِنْهُمْ، سُمِّيَتْ الْبَيْعَةُ بَيْعَةُ النِّسَاءِ. لَكِنَّ الْأَصَحَّ أَنَّهَا سُمِّيَتْ كَذَلِكَ، عَلَى مَا يَبْدُو، لِأَنَّهَا نَصَّتْ عَلَى أَنَّ لَا تَقْعُدْ حَرْبٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ، وَلِأَنَّ الْحَرْبَ مِنْ شَوْؤْنِ الرِّجَالِ، سُمِّيَتْ بَيْعَةُ النِّسَاءِ (السَّهِيْلِيُّ، مَجَ 4، صَ 70). بَعْدَ

هذه البيعة بعث رسول الله مصعب ابن عمير معهم ليعلّمهم القرآن (الطبرى، مج 2، ص 357؛ ابن سعد، م. ن، ص. ن؛ ابن هشام، مج 1، ص 293؛ البلاذري، مج 1، ص 276؛ حسن ابراهيم حسن، م. ن، ص. ن).

ذكر بعض المؤرخين أن إرسال مصعب كان بعد بيعة العقبة الثانية (البلاذري، مج 1، ص 277). في موسم الحج، في السنة الثالثة عشرة منبعثة، اجتمع في العقبة سبعون رجلاً أو اثنان وسبعون رجلاً وامرأتان. وحضر العباس عم النبي معه، فقال للمجتمعين: إنَّ محمداً منا حميته ما في وسعنا، وهو يريد الآن أنْ يأتي إليكم. فإنْ كان باستطاعتكم حمايته فحسناً، وإلا فخلوه بيننا. قالوا: نحن نبأعه ونعاوه، نحارب من حاربه ونسالم من سالمه، لذا سميت هذه البيعة بيعة الحرب. بعد هذه البيعة اختار النبي من بينهم اثنى عشر رجلاً جعلهم نقباء عليهم (حسن ابراهيم حسن، مج 1، ص 96-98؛ البلاذري، مج 1، ص 277-278؛ ابن سعد، مج 1، ص 221-222؛ الطبرى، مج 2، ص 362-363؛ ابن هشام، مج 1، ص 300-301). أصبحت هذه البيعة مقدمة هجرة النبي إلى يثرب.

المصادر والمراجع: ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت 1405هـ/1985م؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ط. سهيل زكار، بيروت 1412هـ/1992م؛ أحمد بن يحيى البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ط. سهيل زكار ورياض الزركلي، بيروت 1417هـ/1996م؛ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مج 1، القاهرة 1964م، ط. أوفست بيروت [لا تا]؛ عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ط. عبد الرحمن وكيل، القاهرة 1389هـ/1969م؛ محمد بن جرير الطبرى، تاريخ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ط. محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت [1382-1387هـ/1962-1967م]؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. فردیناند ووستفلد، لايبزيغ 1866-1873م، ط. أوفست طهران 1965م.

/السيد جعفر شهيدي/

البيعة، بالكسر، مركز عبادة أهل الكتاب [كنيسة النصارى، وقيل كنيسة اليهود]. وردت هذه اللفظة مرّة واحدة في القرآن (الحج: 40)، بحالة الجمع: بِيَعْ. ذكرها السُّيوطيُّ (*الإتقان*، مج 2، ص 131) في عداد الألفاظ القرآنية غير العربية، وذكر الجواليلي (ص 81)، أنَّ هنالك من يعَد لفظة البيعة من الفارسيّ المعرّب، لكنَّ الجُفري (ص 150)، ردَّ هذا الرأي، مدعِيًّا أنَّ سريانيتها واضحة. فهو يقول إنَّ الأصل السرياني للفظة البيعة بمعنى "البيض" (قارن لفظة البيض العربية بمعادلتها العبرية والأراميّ)، واستُخدمت بعد ذلك مجازًا اسمًا للجزء الأعلى من القنطر الدائرية، وكذلك اسمًا لمراكم العبادة ذات القباب.

فسَرَ علماء اللغة وأصحاب المعاجم لفظة البيعة، والتي ورد جمعها أيضًا بِيَعَاتٍ وبِيَعَاتٍ، في معظم الأحيان بمعنى مركز عبادة النصارى أو الكنيسة، علَمًا أنَّهم قالوا أيضًا إنَّها معبد اليهود. عدَّها البعض أيضًا مرادفًا للفظة الكنيسة*، وأنَّها أطلقت في الأصل على جميع معابد اليهود والنصارى، علَمًا أنَّ المشهور أنَّ الكنيسة اسم خاصٌ بمعبد اليهود (الجرجاني؛ ابن منظور؛ الشرتوني؛ صفي بوري؛ البستاني؛ دوزي، المادة نفسها).

نقل المفسرون أقوالًا مختلفة حول البيعة في أثناء تفسيرهم لآية "...
لَهُدِّمْتُ صوامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَساجِدُ..." (الحج: 40)، التي هي جزء من آيات الجهاد، من هذه الأقوال: *البيعة مَعْبُدُ اليهود*، كما أنَّ الصومعة معبد النصارى، مع الفارق أنَّ الصومعة تُبنى في الصحراء والبيعة في الحضر؛ وعلى العكس فالصومعة المشتركة بين اليهود والنصارى والمسلمين، هي خاصة بالنصارى؛ كما أنَّ الصومعة والصلاوة (فرد صلوات) تعبّران عن المسجد؛ هي اسم المعبد في شريعة موسى عليه السلام؛ هي اسم المعبد في شريعة عيسى عليه السلام (← الطبرسي؛ الطوسي، التبيان؛ أبو الفتوح الرازي؛ السُّيوطي، الدر المنشور، الآية نفسها).

لم يُجز فقهاء الإمامية إقامة البيع وغيرها من معابد أهل الكتاب في البلدان الإسلامية، أو في البلدان التي فتحها المسلمون حرباً. إنَّما أجازوا ضمن شروطِ الإبقاء على هذه المعابد وترميمها في البلدان التي فتحت صلحًا (النجفي، مج 21، ص 280-284؛ المحقق الحلي، مج 1، ص 331؛ الطوسي، المبسوط، مج 2، ص 45-46). فقهاء أهل السنة أيضًا متّقون على أنَّ إنشاء بيعة أو كنيسة وما شابه لأهل الذمة في البلاد الإسلامية غير جائز، أمَّا ترميمها فجائز (الزحيلي، مج 6، ص 448). وردت في الكتب الفقهية في باب الوقف أيضًا أحكام حول البيعة والمعابد الأخرى لغير المسلمين. من ناحية أخرى حُسب عدم التعرّض لمعابد أهل الذمة حقًا من حقوقهم (م. ن، مج 6، ص 450).

كانت لفظة البيعة متداولة قبل الإسلام، وعُثر عليها في الكتابات الأثرية في جنوبِي شبه الجزيرة العربية، واستُخدمت مرات عدّة في الشعر الجاهلي (جُفري، م. ن، ص. ن). وصف ناصر خسرو أيضًا في مدونة رحلته [سفرنامه] (ص 62-63) كنيسة تسمى بيعة القُمامَة [=كنيسة القيامة] في بيت المقدس، يعظمها النصارى كثيرًا، ويأتي لزيارتها سنويًا الكثير من الناس من

بلاد الروم، ويقضي فيها القسيسون والرهبان الأيام والليالي في قراءة الإنجيل والصلوة والعبادة.

المصادر والمراجع: فضلاً عن القرآن؛ ابن منظور، لسان العرب، ط. علي شيري، بيروت 1412هـ/1992م؛ حسين بن علي أبو الفتوح الرازي، روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، ط. محمد جعفر ياحقي ومحمد مهدي ناصح، مشهد 1365-1375ش [1986-1996م]؛ بطرس البستانى، محيط المحيط: قاموس مطول للغة العربية، بيروت 1867-1870م؛ علي بن محمد الجرجاني، ترجمان القرآن، ط. محمد دبیر سیاقی، طهران 1360ش [1981م]؛ آرتور جفری، واژه‌ای دخیل در قرآن مجید [الألفاظ الدخلية في القرآن الكريم]، ترجمه بالفارسية فریدون بدراهی، طهران 1372ش [1993م]؛ موهوب بن أحمد الجوالیي، المعرف من الكلام الأعمى على حروف المعجم، ط. أحمد محمد شاکر، ط. أوفست طهران 1966م؛ راینهارت پیتران دوزی، تکملة المعاجم العربية، ترجمه بالعربیة محمد سليم النعيمي، العراق 1978م؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السیوطی، الإتقان في علوم القرآن، وهبة مصطفی الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق 1404هـ/1984م؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السیوطی، الإتقان في علوم القرآن، ط. محمد أبو الفضل ابراهيم، قم 1363ش [1984م]؛ نفسه، الذرُّ المنتور في التفسير بالتأثر، بيروت [لاتا.]؛ سعيد الشرتونی، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، قم 1403هـ؛ عبد الرحيم بن عبد الكريم صفي بوري، منتهي الأرب في لغة العرب، ط. حجرية طهران 1297-1298هـ، ط. أوفست طهران 1377هـ؛ فضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط. هاشم رسولي المحلاطي وفضل الله يزدي الطباطبائی، بيروت 1408هـ/1988م؛ محمد بن الحسن الطوسي، التبیان في تفسیر القرآن، ط. أحمد حبیب قصیر العاملی، بيروت [لاتا.]؛ نفسه، المبسوط في فقه الإمامية، مج 2، ط. محمد تقی الكشفي، طهران 1387هـ؛ محمد بن عمر الفخر الرازي، التفسیر الكبير، القاهرة [لاتا.]، ط. أوفست طهران [لاتا.]؛ جعفر بن الحسن المحقق الحلی، شرائع الإسلام في مسائل الحال والحرام، ط. عبد الحسين محمد علي، النجف 1389هـ/1969م؛ ناصر خرسو، سفرنامه؛ حکیم ناصر خرسو قبادیانی مرزوی [رحلة الحکیم ناصر خرسو القبادیانی المرزوی]، ط. دبیر سیاقی، طهران 1363ش [1984م]؛ محمد حسن بن باقر النجفی، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ط. الشيخ عباس القوجانی، بيروت 1981م.

/مالك الحسيني/

البيك، مسجد، مبنيٌ في إسطنبول، يعود إلى القرن العاشر الهجريّ. يقول حسين أفندي إيوان سرايي، أنَّ باني هذا المسجد هو محمد بيك سلحاشور، الموجود ضريحةً أيضًا بالقرب من هذا المسجد، ويضيف أنَّ هذا المسجد كان يُسمى أيضًا مسجد صراحى، لكنَّ اسماعيل بيك زاده عثمان وخليل أدهم سمياً هذا المسجد: مسجد محمد بيك صلاحى. ليس في المتناول معلومات عن تاريخ بناء هذا المسجد وعن بانيه، لكنَّ يُستخرج من طراز بنائه وخصائصه المعمارية، أنَّه يعود إلى القرن العاشر الهجريّ؛ ولما يتمتع به هذا المبني الصغير من تنظيم بنويٍّ ممتاز ودقة في الصنع، نسب بناؤه إلى سنان [أشهر المعماريين الأتراك]، لكنَّ اسم هذا المسجد لم يرد في فهرس آثار سنان.

في العام 1346هـ / 1928م صُنِّف مسجد البيك ضمن المباني المهدمة، ولم تقلح قيمته الفنية في إدراجه ضمن لائحة المساجد التي يجب أنْ تتم المحافظة عليها. ظلَّ هذا المسجد سنين عديدة خربةً لا سقف له، إلى أنْ أعيد ترميمه وإحياؤه في العام 1389هـ / 1970م.

عاينَ أكرم كوتتشو¹ المسجد في العام 1380هـ / 1961م، فأشارَ بجماليه، وأوصى بضرورة ترميمه. صحنُ المسجد مرتفع عن مستوى الشارع المحاذي له من الأمام. جدرانه مربعة، ومبنيَة بالحجارة المربيعة وبالأجر، أمّا مدخله فمن خلال صحنٍ باهٍ يفتح على الشارع، ويجب اجتياز عدّة درجات للوصول إليه. بجانب هذه الدرجات، مئذنة صغيرة منفصلة عن الجدار. بمحاذة المسجد رواقٌ مستطيل الشكل مقابل مدخل مقبرة مربعة. ومن خلال هذا الرواق يتم الدخول إلى محَّطة المسجد الرئيسية. هذا المسجد بالظللة والمقبرة، وطراز مئذنته، نادر المثال في الفن [المعماري] التركي. لمئذنته المشيدة على العكس من السائد، مقابل جدار القبلة، واجهة جميلة ودقيقة الصنع. هذه المئذنة، كالمسجد نفسه مبنية بالحجارة المربيعة الزوايا وبالأجر. كان مسجد البيك يتضمن مقبرةً وأشجارًا في محيطه.

المصادر والمراجع: حسين إيوانسرايي، حديقة الجوابع، إسطنبول 1281هـ، مج 1، ص 280؛ إسماعيل بيك زاده عثمان بيك، مجموعه جوابع [مجموعة المساجد]، إسطنبول 1304هـ، مج 2، ص 2؛
.... **أجنبي**

.....
للاطّلاع على صورة كاملة للمصادر ← د. أ. د. التركية، المادة نفسها.
/سماوي إيجية، ملخصاً من (د. أ. د. التركية)/

¹ - R. Ekrem Koçu.

البيك والبيغم، صفتان أو لقبان تركيان.

1) **البيك** (بيك/بك بالفتح والكسر، وأيضاً بالڭاف الفارسية؛ اليوم "بِيْ" *bey*). هذه الكلمة هي الصورة النهائية للقب قديم في اللغة التركية العثمانية، وهو في التركمانية *beg*، وفي التركية الشرقية *big*، وفي القوزاقية *biy/bi*. هذا اللقب يُشاهد أيضاً في الكتابات الحجرية الأورخونية، وفي النصوص الأويغورية، ويُستخلص من المصادر الشرقية والغربية قبل الإسلام، وبعد ذلك أيضاً، أنه كان متداولاً في أوساط القبائل والحكومات التركية، ومن المؤكد أنَّ له ارتباطاً من حيث الاشتراك بلقب "بغى" *begi* المغولي، و "بوغين" *bögin* الشيشناني، و "بيله" *beyle* المنشوئي. يدعى فريقٌ من علماء اللغات من بلوشه² (مج 12، ص 92) وحتى كوتويتش³، أنه مأخوذ من اللقب الصيني القديم "پك"؛ لكن في المقابل يرجح عدُّ من المحققين أنَّ هذه اللفظة هي نفسها "بغ" (الفارسية القديمة: "بَكَهْ"؛ السنسرية: "بهاگا"؛ البهلوية: "بِيْ، bē" ، اللقب الذي كان يُطلق على الملوك الساسانيين بمعنى السيد، والرب (← بروكلمان، ص 223). في كل الأحوال، إنَّ الأتراك هم على الأرجح أول من استخدم هذا اللقب، وأخذته عنهم الشعوب الآلتائية الأخرى. يمكننا تلخيص المعاني الأساسية لهذه اللفظة في مرحلة حكم الـ "غوك- الأتراك" (الأتراك القدماء) على النحو التالي: أ) لقب رؤساء القبائل الصغيرة، أو رؤساء المجموعات الكبرى المتشكلة من القبائل الصغيرة، وهذا اللقب أدنى مرتبة من لقب "الخان"، أو "قاغان" [قانون/خاقان]، ونحن نعلم أنَّ سلطان الغوك- الأتراك، كان قد منح بارس بيك (*بَرْسْبَايْ*)، رئيس القرقيزيين لقب "قاغان". ب) مفهوم "بي لر" (جمع *بيك*=البقوات)، في الكتابات الحجرية الأرخونية، يعبر عادةً عن الطبقة الممتازة والعريقة، التي تختلف عن طبقة عامة الشعب (*بودون*)⁴. بهذا المعنى يندرج تحت لقب "بِيْ" جميع أمراء العائلة المالكة أيضاً. ج) كل واحد من ذوي النفوذ وأصحاب المناصب الكبار والصغراء، أي الموظفون، يُمنح أيضاً هذا اللقب. هؤلاء، على الرغم من ذكرهم في بعض عبارات الكتابات الحجرية، منفصلين عن عامة الشعب والبقوات، لكنَّ في بعض الأماكن ذكروا بمعنى "الموظفين البقوات" (نصوص الكتابات الحجرية وترجماتها، التي نشرت بجهود تامسن ورودولف). توجد هذه الكلمة بهذه المعاني نفسها لدى الأويغوريين (← النصوص المنشورة بفضل مولر، وبئنغ وآخرين)، بناءً على ما كتبه ابن فضلان^{*}، وكتابات كونسطنطينوس بورفيريوغنتوس⁵، كان هذا اللقب موجوداً في أوساط الخزر (← نيميث غيلا⁶، ص

² - E. Blochet

³ - W. kotwicz

⁴ - Budun

⁵ - Konstantinos porphyrogenetos

⁶ - Nemeth Gyula

(212). كان هذا اللقب على الأرجح موجوداً أيضاً في أوساط البلغاريين الأوائل (البدو) (← كادلک⁷، ص 68).

حافظ الأتراك بعد إسلامهم، ودخولهم حياض الحضارة الإسلامية، على هذا اللقب بمعناه ومضمونه السابقين. كان الموظفون الحكوميون القراطائيون، ذوو المقام الرفيع يستخدمون هذا اللقب أيضاً (مثلاً محمود بيك نائب علي تعين حاكماً سمرقند؛ البيهقي، مج 1، ص 420). كان الأوغوز الأوائل، مؤسسو دولة السلاجقة، لا يحملون في البداية سوى لقب البيك (← طغرل بيك*). نرى في المصادر التاريخية بشكل واضح، أنَّ زعماء الأوغوز والقرطاج كانوا يحملون في القرنين الخامس والسادس الهجريين لقب "البيك" (لاشين بيك، طوطي بيك، وأمثالهما). كان لكلمة "بكتش" المتداولة في أوساط القراطائين في القرن الخامس الهجري أيضاً، كما ذكر محمود الكاشغري (مج 1، ص 297 وما بعدها)، صلة بكلمة "بك"، وهي تصغيرٌ لها. كان توقر (أو تقر) بيك الكاشغري، الذي استوزره السلطان سنجر لمدة وجيزة، كما يتضح من لقبه (بيك)، من العرق التركي الأصيل.

منذ عهد السلاجقة العظام، نرى بين الحكومات التركية المختلفة، لقب "البيك" معدلاً للقب "الأمير" العربي؛ مثلاً بدلاً من أمير الجيوش "جيوش بيكي" [بيك الجيوش]؛ وبدلاً من أمير العطاء "داد بيكي"، وبدلاً من أمير الأمراء "بيكلربيري". وعلى الرغم من المحافظة في المؤسسات الإدارية، بتغيير من التقاليد الإدارية القديمة، على المصطلحات القديمة العربية والفارسية، بدأ استخدام الأسماء والألقاب التركية إلى جانب هذه المصطلحات، ويمكننا عد ذلك دليلاً على تأثير اللغة المحكية إلى حد ما في اللغة الرسمية، وحسبانه أحد السمات الخاصة بعصر السلاجقة الكبار. تزايدت قوّة هذا التأثير في عصر الإلخانيين والتون أردو [= المعسكر الذهبي]، وشاع استعمال لقب البيك بدلاً من الأمير (مثل أولوس بيكي، تومن بيكي، مين بيكي، يوزبيكي، وأون بيكي).

نلاحظ، فضلاً عن الألقاب: خاقان*، وخان*، وسلطان* التي كانت متداولة لدى السلالات الكبيرة مثل القراطائين والسلجقة، أنَّ عدداً من الحكام التابعين للسلالات الصغيرة والأمراء، كانوا يستخدمون لقب الأمير والبيك؛ ومن المعروف أنَّ الحكام العثمانيين الأوائل، وأمراء الأناضول والقرطاجيين والأق قويينلوبيين والآق قويينلوبيين استخدموها هذا اللقب أيضاً (نعلم من خلال مدونة الدستور: دستور نامة لأنوزي أنَّ آيدين أو غوللاري [= بنو آيدين]، كانوا يمنحون قادتهم الكبار لقب أولوبيك [= البيك الكبير]، وفي القرن الثامن الهجري، كان لقب البيك متداولاً لدى بعض السلالات كالجلائريين؛ حتى أننا نلاحظ أنَّ فاتحًا كبيرًا كتيمور [تيمور لنك]، لم يستخدم لقب الخان الخاص بسلالة جنكيز، وفضل لقب الأمير أو البيك).

في القرن التاسع الهجري، في المناطق التي كان يحكمها أولاد تيمور، وفي الحكومات التركمانية، كان الأتراك الأقحاح، ورؤساء القبائل يُمنحون لقب

⁷ - K. Kadlec

بيك، أو معادله العربي أي "الأمير" أو "المير"؛ مع الفارق أنَّ اللقب التركي كان يذكر في آخر الاسم، واللقب العربي في أوله مثل "مير عليشير"، أو "عليشير بيك"، لكن في الحالات التي لم تكن فيها لفظة البيك لقباً وإنما جزء من اسم علم مركب، كانت تأتي في معظم الأحيان في أول الاسم، مثل "بيك تكين" و "بيك تيمور". وهذه القاعدة نفسها كانت ترافقها في الكلمات التي تُستخدم فيها كلمة "باي" بمعنى "المقدّر" مثل باتوز وبايقراء وبابيرس (ببيرس) [← باي*]. في الهند كان أعقاب الأتراك- المغول، أي المتحدرون من الأرستقراطية العسكرية، يضيفون لقب بيك إلى أواخر أسمائهم للدلالة على أصالتهم، كما تُلاحظ بكثرة في بلاتات الحكام الأتراك في الهند كلمة "خان" (خانيم)، مؤنث الخان، و "بيغيم = بيكيم" مؤنث "بيك" [← بابر ناما* [تاريخ بابر، وتنمية المقالة]. مع ذلك استُخدمت كلمة "بيك" كذلك جزءاً من أسماء السيدات مثل "ساتي بيك خان" ابنة الحاكم الإلخاني أولجايتور الشاهد الآخر على هذا النحو من الاستعمال، اسم "بيك خان"، الذي كان متداولاً منذ زمن بعيد لدى أتراك الأناضول.

في العصر الصفوي فقد لقب "بيك" أهميته السابقة، فالسلاطين الصفويون استخدمو لقب "الشاه"، وكأنّوا يمنحون كبار أمرائهم لقب السلطان أو الخان، يبغون من وراء ذلك الحط من قدر ألقاب السلاطين العثمانيين وخوانين آسيا الوسطى، الذين كانوا يُعدون أعداءهم السياسيين. حين كان يحين وقت ترقية رؤساء القبائل وكبار الموظفين الذين كانوا يحملون لقب البيك، يُمنحون لقب السلطان، وبعده لقب الخان (← أحسن التواريХ و عالم آرای عباسی وغيرها من مصادر العصر الصفوي). في الدولة العثمانية كان زعماء القبائل وكبار الموظفين العسكريين وغير العسكريين، وأبناء الشخصيات الرسمية البارزة يُمنحون لقب "بيك". مع ذلك، حافظ لقب بيكليبيكي * [بيك البوتان = أمير الأمراء] لعدة قرون، على الأهمية التي كانت له في عصر سلاجقة الأناضول والإلخانيين؛ واستمرَّ أيضاً بعد عصر التنظيمات (عصر الدستور = الإصلاحات الإدارية والثقافية والأدبية في عصر عبد المجيد في العام 1255هـ/1839م)، رتبة تأتي بعد "الوزير" وال "بالا [الرفيع]"، إلى أن الغيت المناصب غير العسكرية. كانت كلمة بيكليجي (بيكليجي) بمعنى رئيس الديوان موجودة في المؤسسات الإدارية العثمانية، حتى القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، وإلى حد علمنا بقيت حرفه "بكلجيлик" الديوان الهمائوني [السلطاني] في إدارة صداررة الحكومة المركزية، جزءاً من الوظائف الكبرى إلى حين سقوط السلطنة.

كانت كلمة بيك منذ قرون خلت مستخدمة لقباً في أوساط رؤساء القبائل الكردية، مستوحاةً من الأتراك (← شرف خان البدليسي، شرفنامة [تاريخ شرف]), وتسرّبت بعد قيام الدولة العثمانية إلى مختلف لغات البلقان (← لوکوش⁸، ص 24). في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، كان يوجد في المؤسسة العسكرية

⁸ - Karl Lokotsch.

القاجاریّة أصحاب مناصب يحملون لقب "بیک زاده"، كان تحت إمرتهم قادة مجموعات المائة نفر، يحملون لقب "سلطان" (سروان). كان أصحاب المناصب هؤلاء لانتسابهم إلى العائلات الكبيرة، يحملون لقب "بیکزاده" [سلیل البکوات] (بلن، ص 38).

المصادر والمراجع: محمد بن الحسن البیهقی، تاریخ البیهقی، ط. سعید نفیسي، طهران 1309ش [1930م]؛
أجنبي ...

/محمد فؤاد كوبريلي (د. أ. التركية)/

2) بِيَغْم (بِيَغْم، مخْفَهَا بِيَغْم [بِغْم]، في فارسية شبه القارة الهندية: بِيَغْم [بِيَغْم]، وفي التركية بِيَغْم [بِيَغْم]، مونث بِيَغ [بِيَغ])، لقبٌ فخرٍ، خاصٌ حصرًا بالأميرات، في الحقبة المغولية من تاريخ الهند. كانت جهان آرا^{*} بِيَغْم، ابنة شاه جهان [الملك المعروف في سلالة تيموري الهندي]، حـ: 1038-1069هـ العازبة، في أثناء حكم أبيها، تحمل اللقب الرسمي "پادشاه بِيَغْم" [جلالة الملكة]، واحتقت بهذا اللقب، حتى بعد اعتقال شاه جهان وسجنه (كانت تُدعى أيضًا "بِيَغْم صاحب" أو "بِيَغْم صاحبه" [صاحبة الجلالـة]. في عهد السلطان أكبر [ثالث الملوك التيموريين في الهند: حـ: 963-1014هـ]، كانت البيغمات (الملكات والأميرات) يتقاضـن سنويًّا بين 1'028 و 1'610 روبيـة راتبًا دائمًا. بعد موت جهانغير [ملك الهند المغولي]، حـ: 1037-1014هـ، جعل خليفـته شاه جهـان، لأرمـلته جـهـان نور راتبًا سنويًّا قدره 200'000 روبيـة. كانت ممتاز محل زوجـة شـاه جـهـان، تتـقاضـى سنويًّا 1'000'000 روبيـة من الخزانـة الملكـية، في حين أنَّ ابـنة شـاه جـهـان پـادـشاه بـيـغـم كـانـت تـقـاضـى سنـوـيـة 600'000 روـبـيـة، نـصـفـها نـقـدـاً وـنـصـفـها أـمـلاـكـاً. جـعل أـورـنـغـزـيـبـ [سـادـسـ مـلـوكـ الهندـ التـيمـوريـينـ]، حـ: 1068-1118هـ، لـهـذـهـ الـمـلـكـةـ رـاتـبـاًـ سنـوـيـاًـ مـقـدـارـهـ 000'200 روـبـيـةـ.

قبل تشكيل دولة الباكستان 1366هـ/1947م، كانت الوحدة من السيدات المنتـيمـياتـ إلى عائلـاتـ الأـشـرـافـ والأـكـابرـ الـمـسـلـمـينـ تـُدـعـىـ بـيـغـمـ؛ـ أمـاـ الـآنـ فـيـ الـبـاـكـسـتـانـ جـمـيعـ السـيـدـاتـ الـمـتـرـوـجـاتـ،ـ باـسـتـثـانـ نـسـاءـ الطـبـقـةـ الـمـعـدـمـةـ،ـ تـُدـعـىـ الـوـاحـدـةـ مـنـهـنـ بـيـغـمـ،ـ بـمـعـنـىـ السـيـدـةـ.ـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ غـيرـ مـتـداـولـةـ بـهـذـاـ الـمـعـنـىـ فـيـ الـدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ أـوـ الـفـارـسـيـةـ الـلـغـةـ.ـ مـنـ الـعـادـاتـ وـالـقـالـيدـ فـيـ الـبـاـكـسـتـانـ أـنـ يـخـاطـبـ الـأـزـوـاجـ زـوـجـاتـهـ عـلـىـ الـمـلـأـ،ـ أـوـ فـيـ الـخـلـوةـ بـصـفـةـ بـيـغـمـ،ـ وـيـلـتـزـمـونـ بـعـدـ ذـكـرـ أـسـمـائـهـنـ،ـ وـفـيـ الـهـنـدـ وـالـبـاـكـسـتـانـ،ـ يـنـادـيـ الـخـدـمـ رـبـةـ الـمـنـزـلـ بـيـغـمـ.ـ وـتـضـافـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ كـلـاـحـقـةـ إـلـىـ أـسـمـاءـ الـوـلـيـدـاتـ حـدـيـثـاًـ،ـ لـكـنـ هـذـهـ الـعـادـةـ سـرـعـانـ مـاـ نـسـختـ.

المصادر والمراجع: أحمد الدهلوـيـ، فـرـهـنـگـ أـصـفـيـهـ [المعـجمـ الـأـصـفـيـ]، لاـهـورـ 1986مـ، مـادـةـ "بـيـغـمـ"؛ـ عبدـ الـحـمـيدـ الـلـاهـوـرـيـ، پـادـشاهـ نـامـهـ [تـارـيخـ الـمـلـوكـ] (مـجـمـوعـةـ الـأـثارـ الـهـنـدـيـةـ)، مجـ1، صـ96ـ، الفـهـرـسـ؛ـ أـحـمـدـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بنـ مـحـمـدـ النـائـطـيـ، أـصـفـ الـلـغـاتـ، حـيـدـرـ آـبـادـ الـدـكـنـ 1327-1340هــ، مـادـةـ "بـيـغـمـ"؛ـ أـجـنبـيـ....ـ

بـرـزـميـ الـأـنصـارـيـ (دـ.ـ الـإـسـلـامـيـةـ)/

البيمارستان، المكان الذي يجري فيه علاج المرضى وتطبيتهم. هذه الكلمة الفارسية مركبة من "بيمار" [المريض] واللاحقة المكانية "ستان". أمّا مرّحّمها "مارستان" فمعنى "دار المجانين" على الأغلب، سُمي في الأندلس "مالستان/مارستان"، وفي مصر "مُرستان"، وفي المغرب "مرستان/مستران". كان اسم مستشفى/مدرسة الطب في جنديسابور البيمارستان (← تتمة المقالة، قسم إيران)، وهذا دليل على قدم رواج كلمة بيمارستان. يُستخلص من نصّ وقفيّة المستشفى الذي بناه تمّجاج بُغرا، أوّل ملك قراخاني مسلم، في العام 458هـ في سمرقند، على استخدام الاسم "دار المرضى" في تلك الأونة، بدلاً من "بيمارستان"، وفي عصر السلاجقة "دار العافية" و "دار الشفاء". كان العثمانيون يُستخدمون فضلاً عن "دار الشفاء"، الأسماء: "دار الصحة" و "شفاخانة" [دار الشفاء]، و "بيمارخانة" [دار المرضى]، و "تيمارخانة" [دار المجانين]، وابتداءً من القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي، بعد تأسيس المراكز الصحية الحديثة على الطراز الأوروبي، استُخدم الاسم "خسته خانه"⁹. الاسم المستخدم في البلاد العربية اليوم هو: المستشفى، أو المشفى.

القرون الإسلامية الأولى. ورد في سيرة ابن هشام (مج3، ص239)، وصفَ لكيفيّة إنشاء أوّل مركز علاج، لمداواة جرحى غزوة الخندق؛ فقد أقامت سيدة تُدعى رُفيدة الانصارية، في مسجد الرسول خيّمةً لمداواة الجرحى، عولج فيها بأمر من الرسول سعدُ بنُ معاذ. يرى المقرizi (مج2، ص 405)، أنَّ إنشاء أوّل بيمارستان في العالم الإسلامي، من إنجازات الوليد بن عبد الملك الأموي في العام 88هـ، ويقول، إنَّه عيّن أطباءً أجرى لهم أرزاقاً دائمةً، وأصدر أمرًا بفصل المذومين، ومنعهم من التجوّل بين الناس. يقول ابن دُقماق أيضًا (مج1، ص 99) إنَّ منزل أبي زبيد في محلّة سوق القناديل في فسطاط مصر قد حُول في العصر الأموي إلى بيمارستان.

أولى المراحل المضيّة في تاريخ المستشفيات بعد الإسلام، كانت في عهد الخليفة العباسيين. ففي العام 148هـ مرض المنصور فاستدعي جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع [رئيس بيمارستان جنديسابور، ← بختيشوع*] من جنديسابور إلى بغداد. بعد ذلك ساهم أطباء جنديسابور مساهمةً لا يستهان بها في تقديم الطب الإسلامي وإنشاء البيمارستانات (← تتمة المقالة، قسم إيران). طلب هارون الرشيد (حك: 170-194هـ) إلى جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيوس أنْ ينشيء بجانب الكرخ بيمارستانًا شبيهًا بجنديسابور. ثمَّ استقدم أبا يوحنا ماسويه من جنديسابور، وعيّنه رئيساً له، وقد ترأسه من بعد ابنه يوحنا بن ماسويه (ابن أبي أصيبيعة، ص 242-243، 246 وما بعدها). بني البرامكة أيضًا في بغداد

⁹ - Hastahane.

بيمارستانًا باسمهم، أوكلوا رئاسته إلى طبيب هندي اسمه ابن دهن، وطلبوا إليه أن يترجم المؤلفات الطبية السنسكريتية بالعربية (ابن النديم، ص 305).

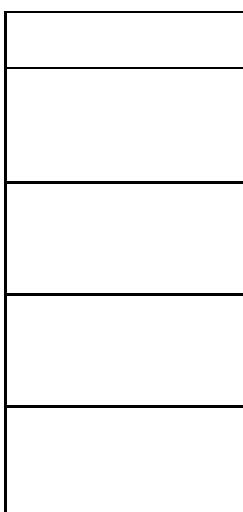
لا نعلم إلى أي زمن ظل العمل جاريًّا في بيمارستان هارون الرشيد، لكنَّ ما لا شكَّ فيه أنَّه ظل المثال المحتذى به في تأسيس البيمارستان الأخرى.

في العام 247هـ، أنشأ الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكِّل، التركيّ بيمارستانًا في معافير الفسطاط (المقرizi، مج 2، ص 406)، وفي العام 302هـ أنشأ عليٌّ بن عيسى بن الجراح (ابن الجراح) بيمارستانًا في حربيَّة بغداد. بعد ذلك تزايد عدد البيمارستانات المستحدثة في بغداد، وغيرها من النواحي، بحيث بات القرن الرابع الهجري يُعد مرحلة ازدهار الطب الإسلامي، وإنشاء البيمارستانات. في ذلك العصر، أوكل عليٌّ بن عيسى إلى الطبيب المشهور أبي عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي، فضلاً عن إدارة بيمارستانات بغداد، إدارة بيمارستانات مكة والمدينة (ابن أبي أصيبيعة، ص 316). قبل ذلك في عصر الخليفة المعتصم (279-290هـ) بنى أمير أمرائه بذر المعتضدي* بيمارستانًا في الضاحية الشرقية لبغداد (م. ن، ص 301). في أول المحرم من العام 306هـ، افتتح بيمارستان السيدة، الذي بُني باسم أم مجد الدولة البويعي في بغداد، على يد الطبيب المشهور سنان بن ثابت. بلغت النفقات الشهرية لهذا البيمارستان ستمائة دينار (القطي، ص 195؛ ابن أبي أصيبيعة، ص 302). في العام 306هـ، بنى الخليفة المقتدر بالله، بناءً على نصيحة سنان بن ثابت، في محلَّة باب الشام في بغداد "البيمارستان المقتدرِي"، وخصص له ميزانية شهرية قدرُها مائتي دينار (القطي، ص 194-195؛ ابن أبي أصيبيعة، م. ن، ص. ن). أنشأ ابن الفرات أحد وزراء الخليفة العباسي المقتدر بالله، ذوي النفوذ، بيمارستانًا في ناحية ذرْب المُفَضَّل في شرقي بغداد، أوكلَ خلفه الخاقاني رئاسته في العام 313هـ إلى الطبيب سنان بن ثابت (ابن أبي أصيبيعة، ص 304-305). شيد أبو الحسن بجكم * أيضًا في العام 330هـ، على الضفة الغربية لنهر دجلة، على قمة ثلاثة صغيرة يربض فوقها قصر هارون الرشيد، بيمارستانًا باسمه، بناءً على نصيحة سنان بن ثابت الطبيب (القطي، ص 193؛ ابن أبي أصيبيعة، ص 304).

في ذلك الحين كان في واسط، والرقة، وميافارقين، وحران، وأنطاكية، ونصيبين، وإيران (← تتمة المقالة، قسم إيران) أعدادً من البيمارستانات (ترزي أوغلو، 1968، ص 42-52؛ أحمد عيسى، ص 198، 201-202، 204، 266-269). في تلك المرحلة، بناءً على اقتراح سنان بن ثابت، وأوامر عليٍّ بن عيسى، كان أطباء يزورون السجون يوميًّا، ويُعاينون المرضى، ويُجizzون لهم تناول بعض أنواع الأدوية (ابن أبي أصيبيعة، ص 301). كان يُرسَل كذلك، بأمر منه، بيمارستان سيار إلى قرى جنوبِيَّ العراق، وكان الأطباء المرافقون يُعاينون المسلمين وغير المسلمين أيضًا، ويعالجونهم (القطي، ابن أبي أصيبيعة، م. ن، صص. ن).

في تلك المرحلة، بالإضافة إلى البيمارستانات الكاملة التجهيز، كانت توجد بيمارستانات أيضًا لها سمات الخانقايات [التكايا الدرويشية]، مخصصة

لِمَعْالَجَةِ الْمَرْضِيِّ النُّفْسِيِّينَ؛ وَقَدْ ذُكِرَ الْمُبَرَّدُ الْأَدِيبُ الْمُشْهُورُ الْمُعاصرُ لِلْمُتَوَكِّلِ، مَؤْسَسَةً مِنْ هَذَا النَّوْعِ فِي دِيرِ حِزْقِيلَ بَيْنِ بَغْدَادَ وَوَاسْطَ. يَتَضَعُّ مِنْ خَلَالِ الْمَعْلُومَاتِ الْمُسْتَقِيَّةِ الَّتِي قَدَّمَهَا مُؤْلِفُو الْقَرْنَيْنِ الْثَالِثِ وَالرَّابِعِ الْهُجْرَيْنِ (الْيَعْقُوبِيُّ، ص 321؛ الْمَسْعُودِيُّ، مج 4، ص 89) عَنْ هَذَا الْبَيْمَارِسْتَانِ، أَنَّهُ أَقْدَمَ بِبَيْمَارِسْتَانِ نَفْسِيٍّ، وَأَرَقَى مِنْ "بَيْمَارِسْتَانِ فَالنَّسِيَا¹⁰/بَلْنَسِيَّةِ الْعَامِ" فِي الْأَنْدَلُسِ (أَسْسَ فِي الْعَامِ 812هـ/1409م)، وَمُسْتَشْفِي بَلْتَهِم¹¹ [= بَيْتُ لَحْمٍ] فِي لَندَنِ (أَسْسَ سَنَةَ 807هـ/1404م) (تَرْزِيُّ أَوْغُلُوُ، 1968م، ص 42). أَفْضَلُ أَنْمَوذِجٍ لِلْبَيْمَارِسْتَانَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَتَمَّ فِيهَا مِعْالَجَةُ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ وَالنُّفْسِيَّةِ، فِي الْقَرْنِ الْثَالِثِ الْهُجْرَيِّ، بِبَيْمَارِسْتَانِ أَحْمَدِ بْنِ طَلْوَنِ فِي الْفَسْطَاطِ، الَّذِي كَانَ قَدْ شِيدَ إِلَى جَانِبِ مَسْجِدِ ابْنِ طَلْوَنِ الْجَامِعِ. يَقُولُ الْمَقْرِيزِيُّ (مج 2، ص 405-406)، كَانَ يُفْرَضُ عَلَى الْمَرْضِيِّ فِي ذَلِكَ الْبَيْمَارِسْتَانِ أَنْ يَرْتَدُوا ثِيَابًا خَاصَّةً؛ بَعْدَ ذَلِكَ تَتَمَّ مِعَالِجَتِهِمْ، وَيُؤْمَنُ لَهُمُ الدَّوَاءُ وَالطَّعَامُ. كَانَ هَذَا الْبَيْمَارِسْتَانُ الَّذِي أَنْفَقَ عَلَى إِنْشَائِهِ وَتَجْهِيزِهِ سَوْنَهُنَّ أَلْفَ دِينَارٍ، يَسْتَقْبِلُ فَضْلًا عَنِ الْعَبِيدِ وَالْجُنُودِ، النَّاسُ مِنْ مُخْلَفِ الْطَّبَقَاتِ، الْأَغْنِيَاءُ وَالْفَقَرَاءُ عَلَى حَدٍّ سَوَاءً. وَكُلُّ يَوْمٍ جَمِيعَةُ كَانِ ابْنِ طَلْوَنِ يَنْقَدِدُ الْبَيْمَارِسْتَانُ، وَيَطْلُعُ عَلَى سِيرِ الْأَمْرُورِ فِيهِ. لِهَذَا الْبَيْمَارِسْتَانِ أَهْمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ فِي تَارِيخِ الْطَّبِّ وَالْطَّبِّ النُّفْسِيِّ. أَسْسَ أَيْضًا كَافُورَ رَابِعَ الْأَمْرَاءِ الْإِخْشِيدِيِّينَ، فِي الْعَامِ 346هـ فِي الْفَسْطَاطِ بِبَيْمَارِسْتَانِهِ بِاسْمِ الْأَسْفَلِ (م. ن، ص. ن). لَكِنَّ أَهْمَّ بِبَيْمَارِسْتَانَاتِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ فِيِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهُجْرَيِّ، كَانَ الْبَيْمَارِسْتَانُ الْعَصْدِيِّ*. لَمْ يَبْقِ الْيَوْمُ أَيِّ أَثْرٍ يَدِلُّ عَلَيْهِ، عَلَمًا أَنَّهُ ظَلَّ يَعْمَلُ حَتَّى الْعَامِ 656هـ. كَذَلِكَ لَمْ يَبْقِ أَيِّ أَثْرٍ لِلْبَيْمَارِسْتَانَاتِ الْأُخْرَى فِيِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَائِدَةِ إِلَى ما قَبْلِ عَصْرِ السَّلاجِقَةِ. حَتَّى أَنَّ كَتَبًا مِثْلَ صَفَاتِ الْبَيْمَارِسْتَانِ لِلْرَّازِيِّ، وَكِتَابِ الْبَيْمَارِسْتَانَاتِ تَأْلِيفِ زَاهِدِ الْعُلَمَاءِ الْفَارِقِيِّ (الْطَّبِيبُ فِي بِيْمَارِسْتَانِ مَيَّافَارِقِينَ فِيِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهُجْرَيِّ) قَدْ فَقَدَتْ أَيْضًا، (← الْقِفْطِيُّ، ص 272؛ ابْنُ أَبِي أَصْبِعَةَ، ص 341، 414-415).



¹⁰ - Hospital general Valencia.

¹¹ - Bethlehem.

خريطة منشأة طبية في بغداد في العصر العباسي، من القرن الثاني حتى الرابع الهجريين (أعاد رسمها ترزي أو غلو نقلًا عن خريطة لسترنج)

الجهة اليمنى صورة:

موقع البيمارستان والمدارس في العصر السلجوقى في شرقى بغداد.

شمال غربى أفريقيا والأندلس. ما من بيمارستان من تلك التي بُنيت فى المغرب والأندلس، بقى محافظاً في الوقت الراهن على شكله القديم. البيمارستان الأقدم في تونس، كان قد بُنى في محلة دمنة في القيروان بأمرِ الأمير الأغلبي (حك: 202 - 224هـ). كان يضمّ غرفاً للمرضى، وغرفَ انتظار للزوار، ومسجدًا صغيراً، وغرفة دراسة، وكان الأطباء يعالجون المرضى بمساعدة ممرضات سودانيات (حسن عبد الوهاب، ص 907، 916؛ الحمارنة²¹، ص 375). كما ذكر الزركشي (ص 102)، أنَّ أول من بنى بيمارستانًا [في مدينة تونس] هو أبو الفوارس، من الأمراء الحفصيين، تمَّ إنجاز البناء في العام 823هـ.

الخبر الوحيد عن أول بيمارستان كبير في فاس، مفاده أنَّ بانيه هو الأمير الموحدي أبو يوسف يعقوب (المنصور بالله، حك: 596 - 580هـ). كان هذا الأمير يولي بناء هذا البيمارستان الكثير من الأهمية، فدعا إلى بلاطه كبار أطباء عصره، من بينهم ابن طفيل، وابن رشد، وابن زهر الحفيد، وابنه، عبد الله بن الحميد، وشيد [بعد استشارتهم] للMuslimين بيمارستانًا كبيراً. هذا البيمارستان كان مبنيًّا فخماً، كما وصفه عبد الواحد المراكشي (ص 209)، أقام هذا الحاكم أيضًا في منطقة حكمه بيمارستانات للمجانين، والمجنومين، والعميان. لقد بذل السلاطين المرinيون الكبار، أبو يوسف يعقوب، وأبو الحسن المرinي وأبو عنان المرinي، جهودًا كبيرة للمحافظة على هذه المنشآت، كما شيدوا هم أيضًا بيمارستانات جديدة. يقول ابن بطوطة (779 - 703هـ) عن معاصره أبي عنان المرinي (حك: 760 - 750هـ)، أنَّه بنى في كلِّ مدينة من مملكته بيمارستانًا، خصَّص له أوقافاً كثيرةً لتأمين نفقات الأطباء والأدوية (ص 43، 663). بعد ذلك حين تولَّ الحكم أمراء كانوا يضعون أيديهم على تلك الأوقاف، ويستولون عليها، آلت شمس تلك المستشفيات إلى الأفول. فالبيمارستان المعروف العائد إلى عصر الموحدين في مراكش، زال من الوجود، ولم يبقَ أيَّ أثر له، وكذلك البيمارستان الآخر الذي أقامه الأمير سعدي أبو محمد، عبد الله الغالب بن محمد المهدى (حك: 965 - 982هـ)، في المكان نفسه، عُطل، وحُوَل إلى سجن للنساء (سلامي، مج 5، ص 39). يقول ليون الأفريقي^{31*}، أنَّه شاهد في مدينة فاس في أوائل القرن العاشر الهجري/السادس

¹² - Hamarneh

¹³ - Léo Africanus.

عشر الميلادي، بيمارستانًا مهدّما كليًّا، كان قد حُولَ من قبل إلى موضع لحجر المجانين الخطرين (مج 2، ص 78). بنى المولى (عبد الرحمن بن هشام) السلطان العلوي، في العام 1247هـ، بيمارستانًا في سلا، إلى جانب مقبرة سيدي بن عاشر، ظل يعمل إلى زمن قريب، لكنَّ مرضاه كانوا لا يعتمدون على الأطباء، بل ينتظرون الشفاء من العارف الواصل صاحب ذلك المزار. في فاس كان مرضى الجذام بشكل عام، يُحجر عليهم في معازل خاصة، في ضواحي المدينة. هؤلاء المرضى الذين كانوا يجتمعون في باب الهمومة، على رأس الطريق من فاس إلى تلمسان، نُقلوا في النصف الأول من القرن السابع الهجري إلى المغاور الواقعة في ضواحي باب الشريعة.

في الأندلس، بُنيت، لعزل مرضى الجذام، بيمارستانات خاصة خارج المدينة، من بينها قصر مُنْيَة العَجَب، بجانب الوادي الكبير⁴¹، في ضواحي قرطبة (يفي بروفنسال، مج 3، ص 434).

كان في قرطبة، بناءً على ما ذكره المقرئي، في الحقبة الإسلامية، خمسون بيمارستانًا عاملاً: حول الإسبان [بعد سقوط غرناطة]، البيمارستان الذي كان الأمير محمد الخامس، من بنى نصر، قد بناه في غرناطة في العام 777هـ، إلى دار للضرب. وقد هُدم هذا المبني في العام 1260هـ؛ لكنَّ المهندس المعماري الفرنسي غيهابو⁵¹، استخلص خريطة له، يظهر فيها المستشفى مبنيًّا من طبقتين حول باحة داخلية محاطة بأواني ذات أعمدة، شديد الشبه بالبيمارستان الذي بُني في العام 673هـ في تونقاد بأمرِ من معين الدين بروانه*، ولا يزال قائماً (كمتحف) (ترزي أوغلو، 1968م، ص 58-62، غيهابو، مج 6، ص 414). على أساس لوحة الكتابة الحجرية لهذا المستشفى، المحفوظة في متحف غرانادا (غرناطة)، كانت تعالج في هذا المستشفى مختلف أنواع الأمراض، ومبناه رائع ولا مثيل له جماليًّا. في هذا الادعاء على ما يبدو شيءٌ من المبالغة، فمثل هذه المباني كانت موجودة بكثرة في جميع أنحاء الأندلس، لا سيما في غرناطة (جنوب إسبانيا). في الخريطة التي أعدَّها كونل⁶¹ لغرناطة في عهد "بني نصر"*, اعتماداً على المصادر القديمة، سُمِّيت البوابة الغربية لحصن المدينة الأقرب من البوابات الأخرى إلى مسجد المدينة، "باب المارستان"، وهذا دليل على أنَّه كان يوجد في تلك الناحية، فضلاً عن البيمارستان الذي شيدَه محمد الخامس بالقرب من قصر الحمراء، بيمارستان آخر (ترزي أوغلو، 1968م، ص 57-58).

بعد العصر الإسلامي في الأندلس، ظلَّ المعماريون المسلمون يبنون البيمارستانات للأمراء والأميرات، وحتى للرهبان، بالقرب من مقر إقامتهم، كبيمارستان لاتينا⁷¹ في مدريد، ومصممه وبانيه كما يُصرح نصَّ وقفيته مهندس

¹⁴ - Guadalquivir

¹⁵ - Geailhabaud

¹⁶ - E Kühnel

¹⁷ - Hospital de Latina

معماريٌّ مسلم اسمه حسن (خوان¹⁸، ص 241). لا يزال الباب الرئيسيٌّ لهذا البيمارستان، قائماً حتى الآن، وهو أنموذج من تزاوج فن العمارنة الإسلامية والأوروبية.

في المناطق السلجوقية. [نظرًا لاتساع مساحة المناطق التي كان يحكمها السلجقة، ولطول المدة التي استغرقها حكمهم، ولكثره البيمارستانات التي أنشئت في عصرهم في مختلف أرجاء العالم الإسلاميّ، جرت دراسة هذه المرحلة وتقويمها على نحو مستقلّ].

إنَّ دراسة الآثار العائدة إلى العصر السلجوقيّ، ومن ضمنها بيمارستان نور الدين في الشام (446هـ)، ودار الشفاء جوهري، ودار الشفاء غيات الدين كيخسرو في قيصرية (602هـ)، ودار الشفاء كيكاووس في سيواس (614هـ)، وبيمارستان توران ملِك، ابنة بهرام شاه، في ديرغي¹⁹ (625هـ)، ودار الشفاء بروانه بيك، المعروف باسم غوك مدرسه [=المدرسة اللازوردية] في توقاد (674هـ)، ومستشفى أتابك فرخ في كنُغْرِي (تشانغري؛ 632هـ)، ومستشفى علي بن بروانه في قسطموني (670هـ)، تدل كلها على أنَّ المخطط المصلي للمبني ذات الأواني الأربعة وقبابها الأربعة المزخرفة بتأثير من التقويم التركي بالرسوم النافرة للحيوانات والقمر والشمس، يبدو أنَّها كانت مستلهمة من تركستان، موطنهم السابق في آسيا، وكانت لها مساهمتها في العصر القوطي في أوروبا. نظرًا إلى أنَّ بيمارستانات العصر السلجوقي كانت تعمل في أثناء الحروب الصليبية، فإنَّ لها أهمية كبيرة في تاريخ بيمارستانات العالم. ظلت دور العجزة، ودور الجذام في الأناضول تعمل حتى العصر العثماني، من ضمنها تكية قراجة أحمد في ضواحي مدينة أفيون، ومقدمة ملك دده في ناحية أناجق بالقرب من بوردور. ورد في مدونة رحلة كلاويخو²⁰، السفير الذي بعثه ملك إسبانيا إلى تيمور، في أوائل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، أنَّ في قرية بجوار أرضروم، المسماة اليوم دلي بابا، تكية تعود إلى العصر السلجوقيّ، كان المرضى النفسيون فيها يعالجون بالإيحاء. على باب هذا البيمارستان يشاهد رسم شرابة وسمكة (ص 79). صورتا القمر والشمس المنحوتان في "داري الشفاء" السلجوقيتين في قيصرية وسيواس، يؤكّد كلام كلاويخو. يتبيّن من خلال أبحاث نافذ أوزلوق في السجلات الشرعية في قونية، أنَّ المجندين كانوا في هذه المدينة يُعزلون عن سائر المرضى، ومن ثمَّ يأتي طبيان من بيمارستان علاء الدين لمعاينتهم، ويُنقلون إلى تكية خنازيريان (ترزي أو غلو، 1978م، ص 1). تدل ملفات مركز توثيق رئاسة الحكومة التركية على وجود مؤسسات من هذا النوع في عصر السلجقة، في كل من قيصرية وسيواس وقسطموني وتوقاد (م. ن، ص 2). شيد في الأناضول، فضلاً عن البيمارستانات، حمامات بحذاء ينابيع المياه المعدنية، لمداواة المرضى. يمكننا تقسيم

¹⁸ - Juan

¹⁹ - Divriği

²⁰ - Clavijo

بيمارستانات عصر سلاجقة الأناضول إلى أربع مجموعات: 1) بيمارستانات السيّار، فقد كان في جيش ملكشاه السلاجوفي (حك: 465-485هـ) بيمارستان سيّار، يضمّ مائة جمل تحمل المرضى والأطباء والأدوات والتجهيزات الطبية (أونفر¹²، ص 11). كان أبو الحكم الباهلي الأندلسي المغربي (المتوفى سنة 550هـ) طبيب المستشفى السيّار التابع لمعسكر محمود (حك: 512-526هـ)، ملك العراق السلاجوفي (القطبي، ص 405؛ ابن خلّان، مج 3، ص 123-124). كان أربعون جملاً ينقلون هذا المستشفى من مكان إلى مكان آخر. فضلاً عن ذلك، كان عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد، قد أنشأ في معسكر محمود بيمارستانًا يُحمل أطباقيه وتجهيزاته على ظهور مائتي جمل (البنداري، ص 158). أبقى مماليك مصر على هذا التقليد الذي استَّه السلاجقة (المقرizi، مج 2، ص 200؛ أحمد عيسى، ص 14-15). 2) بيمارستانات محطات القوافل. بناء على ما دونه الفقشندى (مج 14، ص 152-157)، وابن فضل الله العمري (ص 10-14)، كان في الرباطات ومحطات القوافل في ديار السلاجقة، لا سيّما في الأناضول، بيمارستانات شغاله. تؤيد ما صرّح به هذان المؤرّخان، شروط إجازة وصف الأدوية والأشربة الواردة في نصّ وفقيه خان [=رباط] قرهتاي الواقع في ضاحية مدينة قيصرية (← توران، ص 58). 3) بيمارستانات السلطانية. كانت نماذج من هذه البيمارستانات موجودة في مصر وإيران. فقد أقام صلاح الدين الأيوبى، بعد أن احتلَّ القاهرة (657هـ)، مستشفى في جناح من قصر الفاطميين في المدينة (أحمد عيسى، ص 76-77، البديسي، ص 98). ووصلت عادة إنشاء بيمارستانات البلاطات في الديار العثمانية، وفي العصر المغولي، حتى الصين. 4) بيمارستانات العامة. الأنموذج الأول من هذه البيمارستانات في مصر شيدَه نظام الملك (← تتمة المقالة، قسم إيران). من هذا النوع بيمارستان تتش، باسم الملك تتش، ابن ألب ارسلان، الواقع مع المدرسة التتّشية على الضفة الشرقية لنهر دجلة (شترک²²، مج 1، ص 142؛ زاره هرتسفلد³²، مج 2، ص 161). الأنموذج الأكثر شهرةً من هذا النوع من البيمارستانات، هو بيمارستان العضدي. كانت الطبابة في هذه البيمارستانات تتراافق وتعلّم الطبّ.

كان بيمارستان الذي أنشأه نور الدين زنكي في العام 549هـ باسمه في الشام، والذي اشتهر باسم بيمارستان الأعظم، يُحسب مركزاً طبياً فائق الأهمية. أمّن نور الدين نفقات بنائه وتجهيزه من فدية ملك الفرنجة الذي أسر في أثناء الحروب الصليبية. قال ابن جبير الذي رأه بعد ثلاثين سنة من تأسيسه: "يوجد هنا بيمارستانان واحد قديم والآخر جديده؛ في الجديد أي بيمارستان نور الدين، يشرع الأطباء منذ الساعات الأولى بمعاينة المرضى، ويصفون لهم الأدوية اللازمة والأطعمة المسموح تناولها" (ص 255-256). يرجح أن يكون بيمارستان القديم الذي أورد ابن جبير اسمه، هو بيمارستان الذي أنشأه دُقاق

²¹ - Ünver

²² - Streck

²³ - Sarre- Herzfeld

بن تُوش السُّلْجُوقِي (المتوفى سنة 498هـ) في باب البريد في الشام، لأنَّ ابن عساكر (المتوفى سنة 572هـ)، تحدَّث عن بيمارستان دُقاق بن تُوش (إليسيف⁴²، ص 267). بيمارستان نور الدين على نمط منازل أتراك آسيا الوسطى والمدارس السُّلْجُوقِية بناً ذو أربعة أو اثنين على شكل صليب ذي محورَين حول باحة داخلية، وهو أقدم مستشفى سُلْجُوقِي حافظ على شكله الأصلي حتى اليوم، كما أنَّه المؤسَّسة الوحيدة التي قدم ابن أبي أصيبيعة في طبقات الأطباء معلومات وافية حول تعليماتها الطبية؛ لأنَّ طبيب العيون هذا، ومؤرّخ علم الطب، المشهور، كان هو نفسه قد درس وتدرَّب في هذه المدرسة في القرن السابع الهجري. فقد فصل الحديث عن أبي المجد بن أبي الحكم، الذي عيَّنه نور الدين زنكي، رئيساً لأطباء المستشفى، ويقول عنه إنَّه كان يمارس الطبابة، ويعلم الطب في الوقت نفسه (ص 628).

- | |
|---------------------------------------|
| 1- الباحة ذات الأعمدة. |
| 2- الإيوان الخاص بالمرضى الرجال. |
| 3- غرفة المريضات. |
| 4- غرفة المرضى الرجال في طور النقاوة. |
| 5- غرفة المريضات في طور النقاوة. |
| 6- مقرّ الممرّضين. |
| 7- المطبخ والغرف الملحقة به. |
| 8- المكان الذي توضع فيه التوابيت. |
| 9- غرفة الغسيل. |
| 10- مخزن التدفئة. |
| 11- غرفة رئيس المستشفى. |
| 12- غرفة الجراحين. |
| 13- غرفة أطباء العيون. |
| 14- مكان قراءة صلاة الميت (المصلّى). |
| 15- الباحة ذات الأعمدة. |
| 16- غرفة المرضى النفسيين من الرجال. |
| 17- غرفة المريضات مرضًا نفسياً. |
| 18- أحواض المياه. |

د. أ. التركية، مقالة "Bimâristan" خريطة أرضية بيمارستان قلاوون في القاهرة.

في البيمارستان الذي كان المنصور قلاوون قد أقامه في القاهرة في العام 683هـ، كان الطب يُعلم نظريًّا وعمليًّا، كما كان الحال في بيمارستان نور الدين، ومعلوم أنَّه كان يضم مكتبة كبيرة، حفظت فيها الكتب المهدأة من ابن النفيس. أعاد قلاوون بناء هذا البيمارستان بعد إجراء تعديلات على أحد القصور

⁴² - Elisséeff.

الفاطمية المسمى القُطبيَّة، والذي كان عدد ساكنيه ثمانية آلان نسَمة، على شكل مبني ذي أربعة أو اثنين، ثم جعله مجموعةً بعد أن أضاف إليه ملحقات منها مدرسة الطبّ، والمقدمة الخاصة (المقرizi، مج 2، ص 406-408؛ هرتس⁵²، ص 1-43). استخرج المهندس المعماري الفرنسي، بascal Coste⁶²، مخطط هذا البيمارستان في العام 1232هـ/1817م. هذا المبني مؤلفٍ على أساس هذا المخطط. من أربعة أو اثنين، ونقطة تقاطعها المركبة مقببة السقف (أولياء شلي، مج 10، رقم 452، الورقة 45؛ ترزي أوغلو، 1968م، ص 91-97). في هذا البيمارستان المشهور أيضاً باسم البيمارستان المنصوري، كانت يتم علاج مختلف أنواع المرضى، حتى المجانين؛ وكان عدد كبير من الأطباء يقومون بتدريس طلبة الطبّ. كان هذا الموضوع، على حد علمنا، في القرن الحادي عشر أيضاً، أهم بيمارستان في العالم الإسلامي، ومركزًا طبيًّا (أحمد عيسى، ص 44-48). **المؤسسة المهمة الأخرى العائدة إلى العصر السلجوقى**، مجموعة مركبة من مدرسة الطبّ- المستشفى، كان غياث الدين كيخسرو السلجوقى وأخوه جوهرنسب، قد بنياهما في قيصرية متحاذبين (غابريل، مج 1، ص 90). حافظ هذا المركز الطبي حتى اليوم على وضعه القديم، ويُستخلص من شعر لسلطان ولد حول قيصرية، احتمال أن يكون الحكيم والمنجم المعروف، قطب الدين الشيرازي، قد عمل فيه لمدة من الزمن (أوزلوق، ص 5).

أبدي الطبيب المعروف، عبد اللطيف البغدادي (المتوفى سنة 629هـ)، حين كان في أرزنجان في خدمة علاء الدين داود بن بهرام شاه بني منغولجك، رأيه بال "شفاخانة" [دار الشفاء]، التي كانت توران ملک، ابنة الملك، قد شيدته باسمها، ولا يزال قائماً حتى الآن.

في العام 709هـ، في عهد السلجوقة الروم في آماسية، شيد مستشفى، خدم فيه، بعد ذلك صابونجي أوغلي شرف الدين، طبيباً وأستاذًا لمدة أربع عشرة سنة (ترزي أوغلو، 1991م، ص 32-28؛ الغود 1970م، الصفحات العاشرة- الثانية عشرة].

معارياً، العناصر المشتركة بين بيمارستان نور الدين في الشام (بني في العام 549هـ)، ومستشفى كيمريان، ودار الشفاء المسمى باسم جوهرنسب في مدينة قيصرية، ومدرسة الطب المسماة باسم غياث الدين كيخسرو- التي حافظت كلها على شكلها الأصليّ- هي: المبني المصلب ذو المحورين المحيطين بباحة داخلية ذات أربعة أو اثنين.

بحث أندريه غودار عن منشأ المدارس والمساجد ومحطات القوافل ذات الأربعة أو اثنين، في مبني ذي أربعة أو اثنين في مدينة باميان في خراسان (يعود تاريخ بنائه إلى القرن الخامس الهجري)، كان على ما يبدو قصر تركان خاتون (المتوفاة سنة 487هـ) (الصفحتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة، والصفحات 1-9).

²⁵ - Herz

²⁶ - Coste

عُثر كذلك في الحفريات في آسيا الوسطى على منازل مبنها مصلب تتوسطه باحة مسقوفة بقبة. يجب عدّ هذا النوع من المنازل منشأ المدارس والمستشفيات ذات الأواني الأربعة، والباحة المركزية المقببة السقف (بوغاتشنكوف⁷²، ص 142-158)، مثل البيمارستان الذي بناه نور الدين زنكي في الشام في العام 549هـ، ولا يزال قائماً حتى الآن، ودار الشفاء الذي بنته توران ملك في ديركى (سنة 626هـ)، وبشكل خاص بيمارستان قلاوون في القاهرة (أنشيء سنة 682هـ)، و"أوسداله ماغيوره"⁸² [مستشفى ماغيوره] في ميلان (بداية التشيد: 1457هـ/ 862م؛ ترزي أوغلو، 1976م، ص 873-879).

لقد تركت البيمارستانات السلجوقية تأثيراً في البيمارستانات الأوروبيّة في عصر النهضة، من حيث الشكل الظاهريّ، ومن حيث الهندسة المعماريّة، والزخارف الداخليّة على حد سواء؛ مثلاً مستشفى سان بليز⁹² على الحدود الإسبانية- الفرنسية له قبة يمكن عدّها مقتبسة من قبة "دار الشفاء" توران ملك. كان شعار بيمارستان نور الدين زنكي، صورة زهرة زنبق، وهي نفسها شعار بيمارستان قلاوون. واستخدمت في زخرفة غرف المستشفى ذي الطبقتين في مدينة رودس، الذي بناه فرسان الهيكل الصليبيّون في العام 844-895هـ/ 1440-1489م. يُشاهد هذا الشعار أيضاً في بلاطات الملوك الفرنسيّين. بالإضافة إلى ذلك، يدل شبه خريطة مستشفى فرسان رودس بـ "دار الشفاء" السلجوقية ذات الطبقتين في تقاد، على الأهميّة الثقافية والتاريخيّة للبيمارستانات السلجوقية (ترزي أوغلو، 1975م، ص 828-829).

لم يبق تأثير البيمارستانات السلجوقية مقتصرًا على البلدان الأوروبيّة، وإنما تمدد إلى مناطق أخرى أيضاً، من الشرق الأدنى حتى الشرق الأقصى؛ وقد ساهم المغول في العصر الإلخاني في هذا التمدد، بتشييدهم بيمارستانات في عدد كبير من المدن، منها آماسيه وسيواس، وتبريز، وهمدان، وسلطانية، وشيراز، وبغداد، على نمط البيمارستانات السلجوقية.

بني تيمور في سمرقند قصراً وبيمارستانًا، حُول في ما بعد إلى مركز علميٍّ ثقافيٍّ، من الجدير عدّه بعد بيمارستان تمجاج بغراخان، ثاني مركز صحيّ كبير في تلك المدينة (العود، 1951م، ص 173). بني شاهرخ، ابن تيمور، كذلك مستشفى في هراة. في عهد السلطان حسين بايقدرا (873-911هـ) بنى الأمير عليشير النووي، بمحاذة قناة أنجل⁰³، مجموعة كبرى تضم قصره الخاص، وحدائق فيها برك، ومدرسة طبّية وبيمارستانًا (د. أ. التركية، مج 1، ص 352).

الهند والصين. كانت قد بُنيت في الهند قبل عهد البابريّين بيمارستانات كبرى، لم يبق منها أيّ أثر. فقد ذكر القاشندي، أنَّ سبعين بيمارستانًا كانت قائمةً

²⁷ - Pugachenkova

²⁸ - Ospedale Maggiore

²⁹ - Hospital Saint- Blaise

³⁰ - Incil

في عصر محمد بن تغلق (شبيس³¹، ص 29). ذكر محمد قاسم فرشه (مج 1، ص 151)، أنَّ السلطان فيروز أضاف إليها خمسة أبواب أخرى. كان يُعيَّن للبيمارستانات أطباء متخصصون، من جراحين وأطباء عيون وغيرهم، وممرضون كذلك، ومراقبون للمرضى، وكانت الأدوية والأطعمة متوافرة مجاناً. كما أنَّ أبواب هذه المستشفيات كانت مفتوحة أمام جميع الطبقات من دون استثناء. وكان فيروز شاه، يأخذ أموالاً من القرى التي تتجاوز مداخيلها حداً معيناً، لتأمين نفقات المستشفيات. ورد الكلام مفصلاً في السيرة الفيروزشاهية (تأليفه سنة 772هـ) على الأدوية التي كانت تُستهلك في البيمارستانات وعلى تركيباتها. أسس السلاطين القطب شاهيون، محمد علي قطب شاه (حك: 988-1004هـ) في حيدر آباد، والنواب خيرانديش خان في أتاؤه³²، بيمارستانات، وقد دون الطبيب خيرانديش خان كتاباً عن أطباء هذه المؤسسات اسمه قَيْرُوت التجاربي (صديقي، ص 168-169).

في قصر فتحبور السيكري بيمارستان كثير التجهيزات، لا يزال قائماً حتى الآن، كان مختصاً، كما ذكر طبيبه الإيطالي نيكولاو مانوتشي³³، في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، لمداواة سيدات الحريم (بورغهام، 1938م^{ألف}، ص 2185-2186). كان في هذا البيمارستان اثنتا عشرة غرفة للمرضى، وعدد كافٍ من المرافقين، وأحواض الاستحمام، والمغاسل. تُعطي سقوفه المزخرفة، التي لا تزال محافظة على جمالها، فكرةً وافيةً عن الزخارف الفخمة لهذا البيمارستان السلطاني. لمنع أشعة الشمس من التسلل إلى غرف المرضى، بُنيت في مقابل الغرف أواوين مزجّجة ومسقوفة لا تزال المبني الإدارية المخصصة للأطباء، وحمامات القصر كذلك، قائمةً حتى الآن. كان جهانغير، ابن أكبر، قد أصدر أمراً بإنشاء بيمارستانات في المدينة، لتطبيب الناس مجاناً. ولا تزال اطلال هذه البيمارستانات العمومية، موجودةً حتى الآن في أكره (م.ن، ص 2192).

ليس من السهل إثبات تأثير الطراز المعماري للبيمارستانات السلجوقيَّة في بيمارستانات تيموريَّ الهند؛ لكنْ، نظراً إلى أنَّ المغول قد أوصلوا العمارة السلجوقيَّة إلى الصين، يمكن الإقرار بأنَّ هذا التأثير كان مشهوداً في الهند. في عصر قوبيلاني قاآن (658-693هـ)، أنشأ في الصين ثلاثة بيمارستانات على الطراز المعماريِّ السلجوقيِّ، الذي كان سائداً في تركستان وإيران، أحدها في قصر قوبيلاني في سياندو (تشنغنغو)⁴³، والآخر في تاتو⁵³ (خانبالق/بكين). وكان هذان البيمارستانان موضوعان في الخدمة منذ العام 691هـ، بإشراف أطباء مسلمين. أمّا البيمارستان الثالث، فهو البيمارستان الملكي في بكين، الذي كان

³¹ - Spies

³² - Etawah

³³ - Niccolao Manucci.

³⁴ - Ciandu (chengtu)

³⁵ - Tatu

يُسمى كوانغ- هوئي- شز⁶³. فضلاً عن هذه البيمارستانات، كان الأطباء المسلمين، يعملون في الصيدليات الملكية الصينية.

العصر العثماني. تعود معظم البيمارستانات الإسلامية القديمة، إلى العصر العثماني. ففي المذكرات التي دونها البارون فنسلاف فراتيسلاف⁷³، عضو البعثة النمساوية إلى إسطنبول في العام 999هـ/1591م، أنّ بيمارستانًا قد أُسس في مصنع قاسم باشا للسفن، لأفراد طاقم الأسطول العثماني. ويُستخلص من سجل المحفوظات، أنه بالإضافة إلى بيمارستان ساقِر آغاچي، وبيمارستان آينالي قوّاق التاپعيين لأسطول قاسم باشا البحري، كانت هناك بيمارستانات للبحرية في كل من كريت والبصرة وبرفراز⁸³، وبيمارستانات لتطبيب العاملين في الأسطول في مصانع السفن في كل من غِمليك، وإزميت، وإينيق، وروسْجُوك، وتولجي، وفدين، وسودا (في كريت)، والسويس، والبصرة (ترزي أوغلو، 1988م، ص 53-61). كان العثمانيون يستخدمون البيمارستانات القديمة، ملتزمين بالمقررات الواردة في وقفياتها. كذلك شيدوا بيمارستانات جديدة في كل من بورصة، وأدرنة، واسطنبول، وسالونيك، وبلغراد، وبودابست. ورد في مذكرة الألماني يوهانس شيلترغر⁹³، الذي أسره الأتراك في معركة نيكوبولي⁰⁴، ودخل في خدمة السلطان بايزيد [إيلدرم بايزيد] (حك: 791-805هـ)، أنه كان في بورصة، عاصمة الدولة العثمانية في ذلك الحين، ثمانية بيمارستانات، كان جميع المرضى يتلقون العلاج فيها، من دون أي تمييز على أساس ديني أو عرقي (ص 94). لم يبق اليوم من البيمارستانات الثمانية سوى بقايا جدار ارتفاعه متراً واحداً، من البيمارستان الذي كان الإيلدرم بايزيد قد شيده بين العامين 792 و 796هـ. أعاد المهندس المعماري التركي تشتنين تاش، رسم خريطة المبني، بعد دراسة هذه البقايا (ص 38-40). بعد أن وقع الاختيار على أدرنة عاصمة للدولة العثمانية، بنى السلطان مراد الثاني في هذه المدينة "دار الجذام"، وبيمارستانًا ملكيًّا باسم "خسته لر إوده سى" [دار المرضى = المستشفى] (ترزي أوغلو، 1979م، ص 58). في العصر العثماني، لا سيما في إسطنبول، بُني العديد من البيمارستانات، أولها المسمى "شفاخانة" [دار الشفاء]، وهو جزء من المجمع الذي بناه السلطان محمد الفاتح في العام 875هـ.

من البيمارستانات العثمانية المهمة: بيمارستان الخاصة في إسطنبول، مهندسه سِنان (البناء: 945-957هـ)، وهو لا يزال قائماً حتى اليوم؛ الشفاخانة [دار الشفاء] ومدرسة المجموعة السليمانية (البناء: 957-964هـ)، وبيمارستان عتيق والده [بيمارستان الولادة القديم] (البناء: 991-995هـ). كانت تتم في هذه

³⁶ - Kuang-hui-Sze

³⁷ - Wenceslaw Wratislaw

³⁸ - Preveze

³⁹ - Johannes Schiltberger

⁴⁰ - Niğbolu

البيمارستانات معالجة المرضى النفسيين أيضاً. كان يعمل في دار الشفاء، كما تتصّن وقفيّة المجموعة السليمانية، رئيس للأطباء، وطبيباً عيون، وجراحان، وصيدلانيان، ومساعداً صيدلاني، وعدد كبير من العمال، يتّقاضون يومياً من ثلاثة إلى ثلاثة أقجه [= عملة فضيّة]. وردت المعلومات المتعلقة بوضع البيمارستان التابع للمدرسة الطبية، آونة الافتتاح، في كتاب طبقيات الممالك ودرجات المسالك، تأليف جلال زادة مصطفى شلبي (الورقة 414). استمرَّ تدريس الطب في هذا البيمارستان حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، واستمرَّ تطبيب المرضى فيه حتى القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي (ترزي أوغلو، 1983-1984م، ص 28-33).

لم يبق حالياً من البيمارستانات القديمة خارج اسطنبول، سوى "دار الشفاء" بايزيد الثاني (حك: 886-891هـ) في أدرنه (البناء: 889-893هـ)، ودار الشفاء السلطانية حفصة في مانيسا (مغنيسا)؛ هذا الأخير افتتح في العام 946هـ، وهو من أوقاف السلطانة حفصة زوجة السلطان سليم الأول (حك: 918-926هـ). حُول هذا البيمارستان في الوقت الراهن إلى متحف صحي. كان يعمل في هذا المستشفى كما تتصّن وقفيّته، رئيس للأطباء، وجراح، وطبيباً عيون، ومتخصص بالأمراض النفسيّة، وصيدلانيان، وتعاوناً صيدلانيّ، وممرضان، يعملان نهاراً وممرضان يعملان ليلاً، ومدير، وأمين سرّ، وقصار وطبّاخان. كان يحضر في هذا المستشفى سنويّاً ترياق¹⁴ اسمه "مسير مغنيسا"، يوزّع على المرضى، وإذا وجد فائض يوزّع على الناس. كان في اسطنبول في ذلك الحين كما يُستخلص من مذكرة الصيدلاني رينولد لوبنو²⁴، أحد مرافقي رودولف الثاني، ملك النمسا، في أثناء سفره إلى اسطنبول (995هـ/1587م)، 110 بيمارستانات (ص 168)، يتسع معظمها لعدد من 150 إلى 300 مريض. كان بعضها يستقبل المرضى على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم، وبعضها كان مختصاً للمريضات. في الصفحتين 30 و 31 من الباب الثاني عشر من كتاب أنطونيوس منافينوس³⁴ الجنوبيّ - الذي نشره نيكولاوس هونيغر⁴⁴ في العام 981هـ/1573م في بازل⁵⁴، بعنوان حوصف المحافظة على قصور السلاطين العثمانيين والدولة العثمانية⁶⁴ - يجري الحديث عن الـ "تيمارخانة" [دار المجانين]، الذي كان السلطان بايزيد الثاني قد بناه في اسطنبول، وكان يعالج في أحد غرفه الكبيرة أربعين مريضاً نفسياً كلاً على حدة، وكان فيه 150 ممّرضًا. لكن من غير المؤكّد إنْ كان هذا المستشفى هو نفسه البيمارستان الذي بناه بايزيد الثاني في اسطنبول، أو مبني آخر. تحدّث ويلهلم ديليش⁷⁴ أيضاً الذي زار

⁴¹ - mithridatikum

⁴² - Reinhold Lubenau

⁴³ - Antonius Menavinius

⁴⁴ - Nicolaus Höniger

⁴⁵ - Basel

⁴⁶ - Hofhaltung des türkischen kaisers und oltomanische Reiches Beschreibung.

⁴⁷ - Wilhelm Dilich

إسطنبول في بداية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، عن بيمارستان بايزيد الثاني، بجانب مسجد بايزيد في إسطنبول. وأشار ديليش (ص 52) إلى بيمارستان آخر، كان السلطان سليم ابن السلطان سليمان القانوني، قد بناه في السنة الثالثة من جلوسه على عرش السلطة، إنما لم يُعثر عليه حتى الآن. نذكر فضلاً عن هذه البيمارستانات، بيمارستان مجموعة السلطان أحمد الذي كان قد بُني في العام 1025هـ، وزال من الوجود في القرن المنصرم (إيوانسراي، مج 1، ص 18-19).

أبرز سمات البيمارستانات العثمانية، أنها كانت دائمًا جزءاً من مجموعة مؤلفة من المسجد والمدرسة و "العمارة" [إطعام خانة = المَضَافَة = دار الإطعام]، وتابخانة [نوع من أنواع دور العجزة]، ومحطة القوافل [الخان]، والحمام، والسوق، و "النبع" [= خزان مياه خيري]، ومبانٍ من هذا القبيل.

يُلاحظ في البيمارستانات العثمانية استمرار التقاليد المعمارية السلجوقيّة (دار الشفاء إيلدرم بايزيد في بورصة، دار الشفاء حفصة خاتون في مغنيسا)، لكن في بيمارستانات عصر التحديث شاع استخدام العناصر المعماريّة الجديدة (مثل بيمارستانات اسطنبول، إنجاز سنان).

"دار الشفاء" بايزيد الثاني في أدرنة، إنجاز المعماري خير الدين أثر تارخيّ نادر المثل في تاريخ البيمارستانات، كان يشكّل كما يقول أولياء شلبي (مج 3، رقم 449، الورقتان 163 و 164) مع المدرسة المجاورة له، المختصة بتدرّيس الطب مركز التقل في مجموعته، على العكس من المجموعات السابقة، التي كان المسجد في معظمها هو مركز التقل. يدل التشابه بين الخصائص المعماريّة لدار الشفاء جوهر نسب في قيصرية، ومدرسة السلطان غيات الدين الطبيّة في جوارها، على أن التركيز في هذا البيمارستانات كان على الجانب العملي أكبر من الجانب النظري. يتّألف هذا البيمارستان من مبنيٍ رئيسيٍ مسديس الزوايا، فيه ستّ محّوطات مقببة، تحيط بمحّوظة مرکزیّة قبّتها أكبر. في الباحة الصغرى المتّصلة بها، مبنيٌ إداريٌ هو على الأرجح المستوصف، وغرفة الباحة المركزية ستّ، ومكان حجز المجانين الخطرين، والمطبخ وغرفة الغسيل. في القسم النهائي منه ممرٌ يصل باحة البيمارستان بالمدرسة الطبيّة. يتضمّن المبني الأساسي باحة مرکزیّة، مسقوفة بقبّة، وفي وسطها حوض. لُجِّظ في محيط الباحة ستة مواضع لإيواء المرضى في الشتاء، وستة لإيوائهم صيفاً. يبدو أنّ الغرفة المقابلة للمدخل كانت غرفةً موسيقى؛ فهي مبنية على نحو مجهّز صوتيّاً بالكامل. في العام 1457هـ/1861م وضع أنطونيو فيلارته⁸⁴، خريطة مبني اوسبداله ماغيوره [مستشفى ماغيوره] في ميلان، ولحظ فيه التهويّة المركزية، وبعد ذلك بثلاثين عاماً بُني المهندس المعماري خير الدين في أدرنة، بأمر من السلطان بايزيد الثاني، دار الشفاء الذي يُعد الأول من نوعه من حيث التجهيز الصوتي لغرفة الموسيقى، ومن حيث تأمّل التهويّة المركزية على حدّ

⁴⁸ - Antonio Filarete

سواء. يتحدث شتورم⁴⁹ في <الدليل الكامل للمستشفيات المخصصة للعجزة والمرضى>⁵⁰، الذي نُشر في أوغسبورغ في العام 1132هـ/1720م، عن التشابه بين مخطط الأبراج ملقيف الهواء التي كانت تقام فوق القبة المركزية للبيمارستانات، والبرج الملقاف في دار الشفاء بايزيد الثاني. وذلك لأنَّ خير الدين حل مشكلة تهوة الغرف من خلال وصل الغرف الصيفية ببرج التهوة، وتجهيز الغرف الشتوية بروازن [فتحات] لسحب الهواء (ترزي أوغلو، 1985م، ص 16-24). لذا فإنَّ أجهزة التهوة في المستشفيات الأوروبيَّة والأميركيَّة في القرن الثالث عشر الهجريِّ/التاسع عشر الميلاديِّ تشبه إلى حدٍ كبير طرق التهوة في دار الشفاء بايزيد الثاني في أدرنة (كون، ص 519، 884، الصورة 420، ص 941، الصورة 444).

في العصر الذي كان فيه المرضى النفسيون في أوروبا يحرقون، لُحِظَت في دار الشفاء بايزيد الثاني في أدرنة، جميع التدابير اللازمَة لتطبيب المرضى، ومن ضمنهم المرضى النفسيون، وفوق ذلك غرفة موسيقى، كما جُهزَ المستشفى بنظام تهوة اقتصاديٍّ، يمكن أن يكون المثال الذي احتذَه المستشفيات في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريَّين/الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

شُيِّدت في أدرنة وإسطنبول بيمارستانات لرجال البلاط، سواءً الذين يعيشون داخل القصور والحرملك، والذين يعيشون في خارجها، لا تزال آثارها باقية حتى الآن، من بينها، "خسته لق اوَدَه سى" [غرفة المرضى]، التي كانت قد جُهزَت في عهد السلطان سليمان القانونيَّ في قصر طوبقابي سراي لـ"البستانين" [= حرس السلطان؛ ← بستانجي*] وظلت حتى العام 1248هـ، تاريخ هدمها، تعمل باسم "دار الجراحة العامرة"، كمدرسة عليا متقدمة للجراحة.

من ضمن البيمارستانات العديدة التي كانت قد أُسْسَت في قصر طوبقابي سراي، لم يبق سوى البيمارستان الذي شُيِّد بأمر من السلطان محمد الفاتح، وصار على صورته الحالَّة في القرن العاشر الهجريِّ، في زمن السلطان سليمان القانونيَّ. كان هذا البيمارستان يُسمَّى "جاريه لر خسته خانه سى" [مستشفى الجواري]، ومحَصَّن لتطبيب نساء الحرملك. هنالك شبه كبير من حيث الخصائص المعماريَّة، بين المستشفى الملكي بالهاوس بلاتس⁵¹ في فيينا في القرن العاشر الهجريِّ/السادس عشر الميلاديِّ، ومستشفى سانت ياكوبس [القديس يعقوب] في درسدن⁵² (البناء: 943هـ/1536م)، ببيمارستان الإيلدرم [السلطان] بايزيد في بورصة.

⁴⁹ - L. ch. Sturm

⁵⁰ - Vollständige Anweisung spitäler für Alte und kranke.

⁵¹ - Balhausplatz

⁵² - Dresden

في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي كانت البيمارستانات العثمانية منتشرة في جميع أنحاء الدولة العثمانية من بودابست حتى كريمة، ومن سالونيك حتى مكة، وكانت تعمل كلها، وبلغت عصرها الذهبي في عهد السلطان محمد الرابع (1058-1098هـ) (أولياء شلبي، ط. دانيشمان، مج 10، ص 35، مج 11، ص 216، مج 12، ص 1080، مج 14، ص 266). ففي تلك الآونة كان في اسطنبول وحدها 183 مستشفى تستقبل المرضى (← شترن³⁵، ص 100-101).

في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، بدأ تجهيز المستشفيات الحديثة على النمط الأوروبي، والماراكز الطبية- التعليمية العصرية.

تبين الرسالة المؤرخة في 18 ذي القعدة 1219هـ [17 شباط 1805م]، المرسلة من وزير "البحرية" إلى "الباب العالي" (سجل محفوظات الولايات العثمانية، جودت- البحرية، رقم 1259)، المتعلقة بتعيين رئيس الأطباء، ورئيس الجراحين لـ "الأوسيبيتاليا"⁴⁵ [المستشفى]، أنَّ هذه المؤسسة كانت مركزاً تعليمياً حديثاً، أُسِّست بهدف إعداد الأطباء والجراحين للخدمة في "ترسانة قاسم باشا العامرة" [مصنع السفن]. في الثالث من ذي الحجة من العام 1254هـ/1838م، تقليداً لليوزفينوم⁵⁵ في فيينا، افتتح في غلطة سراي [قصر غلطة] "مكتب طبَّية عدليَّة شاهانه" [مدرسة الطب الملكية العدلية]، لتدريس الطب الحديث، مع مستشفى تعليمي تابع لها (ترزي أوغلو، 1990م، ص 129-133). في العام 1258هـ/1842م، استُدعيَّ الدكتور لورنتس ريفغر⁶⁵ النمساوي إلى اسطنبول لعصرنَّة المستشفيات العسكرية؛ فأعاد تجهيز البيمارستان العسكري في محلة مالْ تبه، الذي كان قد شُيدَّ في زمن السلطان محمود الثاني، على طراز اليوزفينوم في فيينا، وكان له دورٌ كبيرٌ في مخطَّط الأبواب الستة للبيمارستان العسكري الجديد وتجهيزه. في العام 1259هـ/1843م، أُنشأت والدة السلطان عبد المجيد بيمارستان "المسلمون الغرباء"، تقليداً على الأرجح لـ "الجمينه كرانكناوس"⁷⁵ [البيمارستان العمومي] في ميونيخ، وكان أول مستشفى عمومي عثماني جديد. كذلك فإنَّ بيمارستان أطفال الحميدية، الذي افتتح في العام 1317هـ/1899م في محلة شيشلي، هو مستشفى حديث للأطفال، على غرار مستشفى الأطفال كايزر وكايزررين فردريش⁸⁵ في برلين. بدأ بعد هذه المؤسسات إقامة البيمارستانات التركية الجديدة، وحلَّ الاسم "خسته خانه" محل الأسماء: بيمارستان، بيمارخانه، تيمارخانه، شفاخانه، ودار الشفاء.

المصادر والمراجع: ابن أبي أصيبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط. 3 نزار رضا، بيروت 1965م؛ ابن بطوطة، الرحلة، بيروت [لا ت.]؛ ابن

⁵³ - Stern

⁵⁴ - Spitalia/Hospital

⁵⁵ - Josefínum

⁵⁶ - Lorenz Rigler

⁵⁷ - Allgemeine Krankenhaus

⁵⁸ - Kaiser und Kaiserin Friedrich Kinderkrankenhaus.

جُبَير، الرحلة، بيروت 1400هـ/1980م؛ ابن خلّان، وفيات الأعيان، ط. إحسان عباس، بيروت 1972-1968م؛ ابن دقماق، كتاب انتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق 1310هـ/1893م، ط. أوفست بيروت [لاتا.]؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأنصار في ممالك الأمصار، ط. تشرنر، لايبزيغ 1929م، فيسبادن 1968م؛ ابن النديم، الفهرست، ط. رضا تجدد، طهران 1350ش [1971م]؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ط. مصطفى السقا وابراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة 1375هـ/1955م؛ محمد ظلي بن درويش أولياء شلبي، سياحتاته [مدونة الرحلة]، النسخة الخطية في المكتبة السليمانية، [قسم بشير آغا، رقم 449، 452؛ حسين إيوانسرايي، حديقة الجوابع، اسطنبول 1281هـ؛ [شرف الدين بن شمس الدين البدلisiي، شرفنامة: تاريخ مفصل كردستان، ط. محمد عباسى، ط. أوفست طهران 1343ش [1964م]؛ فتح بن عليّ البنداري، تاريخ السلالة السلجوقيّة: زبدا النصرة ونخبة العصرة، النسخة الفارسية، ترجمة محمد حسين الخليّي، طهران 1356ش [1977م]]؛ مصطفى شلبي جلال زادة، طبقات الممالك ودرجات المسالك، النسخة الخطية في المكتبة السليمانية، [قسم آيا صوفية، رقم 3296؛ محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين، تونس 1289هـ؛ أحمد بن خالد السلاوي، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ط. جعفر ناصري ومحمد ناصري، الدار البيضاء 1954-1956م؛ حسن عبد الوهاب، "الطب العربي في أفريقيا"، مجلة الفكر العربي، مجل 3، العدد 10 (1958م)؛ أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دمشق 1357هـ؛ [محمد قاسم بن غلامعلي فرشته، تاريخ فرشته، أو گلشن ابراهيمي [الروضة الإبراهيمية]، لكهنو 1281هـ]؛ عليّ بن يوسف القبطي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزووزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط. ليبرت، لايبزيغ 1903م؛ أحمد بن عليّ الفاقشندى، صبح الأعشى، القاهرة 1910-1920م؛ عبد الواحد بن عليّ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط. دوزي، ليدن 1881م؛ عليّ بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط. محبي الدين عبد الحميد، القاهرة 1367هـ/1948م، بيروت 1384-1385هـ/1964-1965م؛ أحمد بن محمد المقرّي، نفح الطيب، ط. إحسان عباس، بيروت 1388هـ/1968م؛ أحمد بن عليّ المقريزى، كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، بولاق 1270هـ؛ أحمد بن إسحاق اليعقوبي، كتاب البلدان، ط. دخویه، لیدن 1892م؛

أجنبي...

/إرسلان ترزي أو غلو ملخصاً من (د. أ. د. التركية)/

إيران. بيمارستان جندیسابور، أقدم بيمارستان إيراني، توافر المعلومات عنه. من الصعب إبداء رأي حاسم حول تاريخ تأسisيه، وبانيه، ومدرسته الطبية

الشهير، لكنَّ ما حكاه الفِرْدُوسِيُّ (مج 7، ص 252) عن إعدام ماني شنقاً مقابل بيمارستان جندسابور، يدل دلالة قاطعة، على أساس الرواية المتدوَّلة على الأقل في عصر الشاعر، أنَّ هذا البيمارستان كان موجوداً في عصر سابور الثاني (309 أو 310 - 379م) (قارن الدينوري، ص 47). سُرْعَانَ ما وُسَّعَ هذا البيمارستان في عصر كسرى أنسُرُواُن (579 - 531م)، بمساعدة السريان النساطرة، وحظي بالشهرة، ووصل إلى أوج مجده وعظمته (إقبال الأشتياني، ج 1، ص 216؛ دانلوب، ص 219؛ قارن كريستن سن، ص 445؛ الغود، ص 46-47). بعد أنْ دخل الإسلام خوزستان (البلادُرِيُّ، ص 370 وما بعدها) لم يلحق أيَّ أذى بالمدرسة ولا بـبيمارستان (نصر، ص 396). والظاهر أنَّ المسلمين كانوا يعرفون هذه المدينة وبـبيمارستانها من قبل، فبعد وقت وجيز، استدعي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الحارثَ بنَ كلدة، الذي كان قد تلقى العلم في جندسابور لتطبیب أحد الصحابة في الحجاز (ابن ججل، ص 54؛ قارن الغود، م. ن، ص. ن؛ نسيمي، ص 823، الذي سمى آخرين من العرب تلقوا العلم في جندسابور). استطاع هذا البيمارستان، الذي فقد بعد سقوط الساسانيين دعم الحكومة المركزية المالي والمعنوی، أنْ يصمد ثلاثة قرون بعد ذلك، بفضل جهود أطبائه وأساتذته وإيراني الناحية، وأنْ يتحول إلى أهم صلة وصل بين الثقافة الإسلامية الناشئة وبين الحضارات الإيرانية والهنديّة واليونانية، وأنْ يكون أول مركز طبی في الحضارة الإسلامية. علمًا أنَّ هنالك إشارات إلى علاقة أطباء بـبيمارستان جندسابور ومدرسته بيلات الخلفاء الأمويين (عيسى، ص 63)، لكنَّ علاقة هذا البيمارستان الرسمية بعاصمة الخلافة الإسلامية بدأت في عهد المنصور العباسِيُّ الذي استدعي الطبيب جورجيس بن بختيشوع، رئيس بـبيمارستان جندسابور إلى بغداد، لمعالجه (القططي، ص 158-159). منذ ذلك الحين بدأ أطباء جندسابور، لا سيما ذوي المكانة الرفيعة من عائلة بختيشوع تدريجيًّا بالانتقال إلى بغداد، حيث نالوا الحظوة لدى الخلفاء والوزراء، كما نالوا تقدير الناس واحترامهم (← الجاحظ، ص 145). يمكننا أنْ ندرك كذلك أهمية بـبيمارستان جندسابور، من تسمية جندسابور باسم "مدينة بقراط" (براون، ص 23). لا تتوافر معلومات عن تاريخ انهيار بـبيمارستان جندسابور، الذي استمر ناشطاً على الأقل إلى حين وفاة سابور بن سهل (255هـ)، آخر من ذكر اسمه رئيساً لهذا البيمارستان (ابن النديم، ص 355).

يُعد التنظيم الإداري والعلمي للبيمارستانات الإيرانية في المرحلة الإسلامية، الذي كانت نشأته في جندسابور، ومنها انتقل إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي، من أرقى نماذج المؤسسات العامة في الشرق الإسلامي، لا سيما في إيران. وعلى الرغم من أنَّ الذين كانوا يتولون الإشراف العام على البيمارستانات، لم يكونوا من ذوي الاختصاص، كان "الساعور" (القططي، ص 397) أو "متولي" بـبيمارستان، أو في الحقيقة المدير الداخلي له، أحد الأطباء دائمًا، وهو الذي يتولى رئاسة الأطباء الآخرين. كانت البيمارستانات الكبرى

تقسم إلى قسمين رئيسيين: قسم المرضى العابرين، وقسم المرضى النزلاء؛ المرضى العابرون يذهبون بعد أن يعاينهم الطبيب إلى صيدلية المستشفى للحصول على الدواء (ابن أبي أصيبيعة، ط. القاهرة، مج 2، ص 243)، أمّا المريض الذي يجب، بعد تشخيص الطبيب، أن يتلقى العلاج في المستشفى، فيُنقل إلى القسم الخاص بمرضه، وفي كل قسم من هذه الأقسام، بما فيها قسم الأمراض الداخلية، والتجبير، والجراحة، وطب العيون (← م. ن، مج 1، ص 254، 310)، عدد من الأطباء والمساعدين والخدم مناسب لأهمية المرض ولعدد المرضى، وكان هنالك عدد من العاملين يخدمون في البيمارستانات بصفات مختلفة، مثل "الوكيل"، و "الناظر"، و "أمين الخزانة"، و "الحارس" (ابن الجوزي، مج 7، ص 112). فضلاً عن هؤلاء كان هنالك أيضًا أشخاص يشرفون على أموال الوقف، وعلى وجوه إنفاقها (ابن أبي أصيبيعة، ط. بيروت، مج 2، ص 203).

كانت البيمارستانات في معظم الأحيان، تدار من ريع الأوقاف الكثيرة، التي كان يقفها عليها مؤسسوها، أو بهبات النساء والوزراء والأثرياء، أو الأسماء التي يقرّونها لها في وصيّاتهم. ومن هذه السبل نفسها كانت تؤمن رواتب الأطباء والعاملين، ونفقة علاج المرضى وأثمان أدويتهم، ونفقات استشفائهم وإطعامهم. كان البيمارستان، الذي يبني عادةً في نقطة من أفضل نقاط المدينة طيب مُناخ، ووفرة مياه، يتضمن فضلاً عن الأقسام الاستشفائية المتعددة، جناحاً لإقامة الأطباء، وطلبة الطب (على سبيل المثال ← رشيد الدين فضل الله، 1977، ص 224، 234). إن إقامة الأطباء قرب البيمارستان من الظواهر المهمة في تاريخ البيمارستانات، فقد كان البيمارستان فضلاً عن وظيفته العلاجية والاستشفائية، يُعد المركز الأساسي لتعليم الطب (← الطب*)، ويلغى الفرق بين الطب النظري والطب التجريبي والعملي. فضلاً عن البيمارستانات الكبرى المعروفة، كان لدى جميع المدارس ذات الأوقاف، حتى العصور المتأخرة، مستشفى، فيه أطباء موظفون، يتولون معالجة المرضى وتعليم الطلبة (نفيسي، ص 19). من الظواهر اللافتة الأخرى، المستشفيات السيارة أو "المحمولة"، التي كانت تقدم خدمات جلّي، لا سيما في أثناء الحروب، أو تقشّي الأوّلية. كانت هذه البيمارستانات وملحقاتها، بما في ذلك الطبيب والممرض والصيدلية، والآلات والأدوات الطبية، والجراحية، وحتى ثياب المرضى، تُحمل كلّها على الدواب (عماد الدين الكاتب، ص 124). هذه المستشفيات السيارة، كانت تتقدّم حتى السجون، كما كانت تُرسل أحياناً بأمر أحد الأمراء إلى النواحي البعيدة لتطبيب الناس من مختلف الطبقات، من المسلمين وغير المسلمين (نفيسي، ص 21).

كانت تأسيس البيمارستانات في إيران بعد الإسلام أمرًا شائعاً، مع ذلك فإن المعلومات عن أول البيمارستانات في هذه المرحلة ضحلة جدًا، كما أن تحديد تاريخ تأسيسها أمرٌ صعب. لأنَّ هذه المؤسسات تكون على الأرجح صغيرة في بداية الأمر، وغير ذات أهمية، ومن ثمَّ تتوسّع، وتتصبح ذات أهمية فالمستشفى الشهير - الذي تولى الرازي رئاسته أكثر من مرّة - يمكن حسبانه

استناداً إلى الآثار والقرائن التاريخية والجغرافية، عائدًا إلى عصر ما قبل الإسلام (كريمان، مج 2، ص 362)، إنما لا يمكننا تحديد تاريخ بعينه. كان في زرنيج من نواحي سistan بيـمارستان أيضًا، بنى عمرو بن ليث الـصفاري بجانبه سوقاً، وقف قسماً من مداخلها عليه (الأصطخري، ص 241). والظاهر أنَّ هذين المستشفيين كانوا من أقدم المستشفيات الإيرانية بعد الإسلام (نجم آبادي، مج 2، ص 768). يمكننا أن نذكر بعدهما المستشفى العضدي في شيراز، الذي أسسه عضد الدولة الـديلمي. في الحقبة نفسها، كان في إصفهان بيـمارستان مهمٌّ، يُطبّب فيه ابن مندوبيه الإـصفهاني، أحد الأطباء المشهورين في القرن الرابع الهجري (ابن أبي أصيـبـعة، ط. القاهرة، مج 2، ص 21-22)، وهذا البيـمارستان يعود ربـما إلى العصر الـبوـيهـي (نجم آبادي، م. ن، ص. ن).

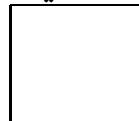
في ذلك الحين، بُني في تـرمـذ بيـمارستان جـعلـت له أوقاف خاصة، بفضل أبي الحسن محمد بن الحسن (ابن حوقل، ص 454-455). في فـيـروـزـآـبـادـ من نواحي فـارـسـ،ـ كانـ هـنـالـكـ أـيـضاـ بيـمارـستانـ مـهـمـ،ـ أـتـىـ عـلـىـ ذـكـرـهـ اـبـنـ الـبـلـخـيـ (صـ 139ـ).

في القرن الخامس الهـجـريـ،ـ كانـ فيـ المـدـنـ الـإـيرـانـيـ عـدـدـ مـنـ الـبـيـمارـستانـاتـ الـعـامـلـةـ،ـ تـوـافـرـ مـعـلـومـاتـ عـنـ بـعـضـهـاـ.ـ فـقـدـ بـنـىـ أـبـوـ سـعـيدـ الـنـيـساـبـورـيـ الـمـلـقـبـ بـالـخـرـكـوـشـيـ (ـالـمـتـوفـيـ سـنـةـ 407ـهــ)،ـ أـحـدـ الـفـقـهـاءـ الـزـهـادـ فـيـ ذـلـكـ الـعـصـرـ،ـ بـيـمارـستانـاـ فـيـ نـيـساـبـورـ (ـالـأـسـنـوـيـ،ـ مجـ 1ـ،ـ صـ 228ــ229ـ)،ـ رـبـّـماـ يـكـونـ هـوـ نـفـسـهـ الـبـيـمارـستانـ الـذـيـ سـكـنـ الـخـطـيـبـ الـسـمـرـقـنـدـيـ فـيـ حـدـيـقـتـهـ،ـ فـيـ الـعـامـ 409ـهــ،ـ حـيـنـ قـدـمـ إـلـىـ نـيـساـبـورـ (ـالـصـرـيـفـيـ،ـ صـ 214ـ).

بنـىـ الـخـواـجـةـ نـظـامـ الـمـلـكـ أـيـضاـ بيـمارـستانـاـ كـبـيرـاـ فـيـ نـيـساـبـورـ (ـالـسـبـكـيـ،ـ مجـ 4ـ،ـ صـ 314ـ)،ـ قـيـلـ إـنـ نـفـقـاتـهـ الـبـيـوـمـيـةـ بـلـغـتـ أـلـفـ دـيـنـارــ.ـ مـنـ صـنـدـوقـ الصـدـقـاتــ (ـعـيـسـىـ،ـ صـ 268ـ،ـ نـقـلاـ عـنـ اـبـنـ الـمـلـفـنـ).ـ كـانـ فـيـ خـواـرـزـمـ كـذـلـكـ بيـمارـستانـاـ رـآـهـ اـبـنـ بـطـوـطـةـ فـيـ الـعـامـ 733ـهــ،ـ وـذـكـرـ اـسـمـ طـبـيـبـ الـمـدـعـوـ الـصـهـيـونـيـ (ـصـ 366ـ).ـ كـانـ فـيـ مـرـوـ كـذـلـكـ بيـمارـستانـ يـُطـبـبـ فـيـ عـيـسـىـ بـنـ مـاسـهـ (ـابـنـ الـبـيـطـارـ،ـ مجـ 2ـ،ـ صـ 15ـ).

في القرن السابع الهـجـريـ بـنـىـ فيـ شـيرـازـ عـاصـمـةـ أـتابـكـةـ فـارـسـ عـدـدـ بـيـمارـستانـاتـ كـبـيرـةـ وـذـاتـ أـهـمـيـةـ بـأـمـرـ منـ اـثـيـنـ مـنـ وزـرـاءـ هـذـهـ الـعـائـلـةـ.ـ فـقـدـ بـنـىـ كـلـ مـنـ الـأـمـيـرـ مـقـرـبـ الـدـيـنـ مـسـعـودـ وـالـأـمـيـرـ فـخـرـ الدـيـنـ أـبـيـ بـكـرـ،ـ وـزـيـرـيـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ سـعـدـ بـيـمارـستانـاـ،ـ وـجـعـلـاهـ أـوـقـافـاـ (ـزـرـكـوبـ الشـيـراـزـيـ،ـ صـ 59ــ60ـ).ـ فـيـ الـحـقـبةـ نـفـسـهـاـ بـنـىـ أـيـضاـ الـبـيـمارـستانـ الـمـظـفـرـيـ فـيـ شـيرـازـ،ـ اـشـتـغلـ فـيـ الـعـلـامـةـ قـطـبـ الـدـيـنـ الشـيـراـزـيـ،ـ الـطـبـيـبـ وـالـفـيـلـسـوـفـ الشـهـيرـ لـمـدـدـ عـشـرـ سـنـوـاتـ (ـالـفـسـائـيـ،ـ مجـ 2ـ،ـ صـ 1148ــ1149ـ).ـ فـيـ ذـلـكـ الـحـينـ،ـ بـنـىـ أـيـضاـ فـيـ يـزـدـ الـبـيـمارـستانـ الـصـاحـبـيـ الـكـبـيرـ،ـ باـسـمـ الـخـواـجـةـ شـمـسـ الـدـيـنـ مـحـمـدـ صـاحـبـ الـدـيـوانـ،ـ الـذـيـ عـيـنـ مـكـانـاـ لـتـأـمـينـ نـفـقـاتـ الـأـطـبـاءـ وـالـمـرـضـىـ،ـ وـوـقـفـ قـسـمـاـ مـنـ قـرـيـةـ عـلـيـهـ (ـالـجـعـفـرـيـ،ـ صـ 111ــ113ـ).ـ وـرـدـ كـذـلـكـ ذـكـرـ بـيـمارـستانـ فـيـ كـرـمـانـ،ـ بـنـتـهـ قـتـلـغـ تـرـكـانـ خـاتـونـ،ـ مـلـكـةـ كـرـمـانـ،ـ الـقـرـاخـطـائـيـةـ الـمـعـرـوـفـةـ،ـ وـزـوـجـةـ قـطـبـ الـدـيـنـ مـحـمـدـ (ـنـفـيـسـيـ،ـ صـ 18ـ).ـ لـكـنـ الـبـيـمارـستانـ الـإـيرـانـيـ الـأـكـبـرـ فـيـ الـقـرـنـيـنـ السـابـقـ وـالـثـامـنـ الـهـجـرـيـيـنـ،ـ هـوـ الـذـيـ بـنـاهـ

رشيد الدين فضل الله الهمداني ووزير غازان خان. كان هذا البيمارستان الذي بناه في تبريز في الرابع الرشیدی، يتضمن أجنحة إستشفائية عديدة، وصيدلية، ومساكن للأطباء والعاملين، وأورد في وفقيته، أن يقوم الأطباء العاملون فيه بتدریس الطب أيضاً (ص 180-183). كان هذا البيمارستان أحد البيمارستانات، التي طلب رشيد الدين فضل الله من ابنه جلال الدين في آسيا الصغرى، أن يرسل إليها خمسمئة من [المن] معيار قديم يُقال به أو يوزن وقدره إذ ذاك رطلان بغداديان] من الأدوية المختلفة (نفسه، 1979م، ص 92؛ قارن براون، ص 105). جمع رشيد الدين في هذا البيمارستان فريقاً من الأطباء المهرة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، واختار لكل منهم مساعدين من طبقة الطب (نفسه، 1977م، ص 224). كانت مساكن الأطباء تقع في محلّة الصالحية بالقرب من البيمارستان (م. ن، ص 180). الأوصاف المفصلة لأوقاف بيمارستان تبريز، مدونة في وفقيه الرابع الرشیدي. أعاد رشيد الدين كذلك العمل في البيمارستان الأتابكي في شيراز، الذي كان في حالة انهيار، وعيّن الطبيب محمود بن إلياس الشيرازي مشرفاً عليه، كما أطلق العمل أيضاً من جديد في بيمارستان همدان (الغود، ص 312).



الصور لها عدالت ونימה جهانبين

قطرة مدخل خرائب بيمارستان مرسلين (أول بيمارستان في كرمان).

الظاهر أنَّ تلك الجهدات الحثيثة، لم تفلح في تحسين أوضاع البيمارستانات التي بدأت تتدحرج تدريجياً. فعلى الرغم من أنَّ تيمور كان قد أصدر أمراً بإنشاء مستشفى واحد على الأقل في كل مدينة من المدن الواقعة في نطاق حكمه (تيمور الغوركاني، ص 368، 370)، آلت هذه المؤسسات إلى الانهيار، واستمرَّ الوضع على هذا النحو في العصر الصفوي، وكما قال رافاييل دومانس⁹⁵، كان الناس على الرغم من وجود مستشفى أو اثنين في كل مدينة من المدن الكبرى، لا يعيرونها اهتماماً، حتى أنَّهم كانوا يسمونها "دار الموت" (الغود، ص 398). أدت الاضطرابات السياسية والعسكرية الداخلية والخارجية في أواخر العهد الصفوي، والتي امتدت حتى العصر القاجاري، دفعه واحدة إلى انهيار البيمارستانات الإيرانية، ونهب أوقافها الواسعة والقيمة. فقط، ابتداءً من عصر فتحعلي شاه القاجاري وما بعده، ظهرت بيمارستانات تعدَّ على الأصابع هنا وهناك، على النمط القديم، لا يمكن على الإطلاق مقارنتها من حيث التنظيم الإداري، والطبي بالبيمارستانات الكبرى المهمة في العصور السابقة. فضلاً عن البيمارستان الذي بناه فتحعلي شاه في طهران، والذي هدم حين شقَّ شارع بوذرجمهري (نفيسي، ص 3)، في عصر ناصر الدين شاه، خصص أيضاً الحاج

⁹⁵- Raphael Du Mans.

الميرزا حسين خان السبهسالار الأعظم، في وقفيّة مبني المدرسة الناصرية، التي عُرّفت في ما بعد بمدرسة سبهسالار، قسماً من المبني للبيمارستان (م. ن، ص 19). منذ ذلك الوقت وإلى حين تأسيس البيمارستان الإيراني على النمط الحديث في طهران، ليس في متّاولنا معلومات عن إنشاء بيمارستانات في إيران، باستثناء بيمارستانات البعثات التبشيريّة والأجنبية.

البيمارستانات الحديثة. في الحقبة نفسها التي تهدمت فيها البيمارستانات الإيرانية، وآللت إلى الزوال، بدأت بعض الدول الأوروبيّة الساعية إلى بسط نفوذها في سواحل الخليج الفارسي والمحيط الهندي، مباشرةً، أو بواسطة الشركات التجارية، أو الخدماتيّة التابعة للبعثات الدينية المرتبطة بها، بتأسيس البيمارستانات في المدن والسواحل الإيرانية. يجب عدّ تأسيس هذه البيمارستانات، على الرّغم من أنّها كانت في البداية صغيرة، ولم تحظَ بترحيب يُذكر من السكّان المحليّين، مقدمة دخول الطلب الأوروبي إلى إيران. من الواضح أنّ إدارة تلك المراكز العلاجيّة كانت في أيدي منشئها، وفي معظم الأحيان كانوا هم الذين يتولّون الإنفاق عليها. أول بيمارستان تبشيري في إيران، قبل احتلال القوات الإيرانية- الإنجليزية في العام 1032هـ/1622م جزيرة هرمز، بناء البرتغاليّون في تلك الجزيرة. قدم هذا البيمارستان المسمى "ميسري كورديا"⁶⁰، والذي كان بإدارة رهبان فرقه أو غسطين، الكثير من الخدمات الخيريّة، وذات المنفعة العامة، شاهد جان فراير⁶¹، طبيب شركة الهند الشرقيّة، في أواخر العصر الصفوّي في العام 1088هـ/1677م، في قرية صغيرة بالقرب من ميناء غمبرون (بندر عباس)، بيمارستانين جميلين ونظيفين. كان الهولنديّون قد بنوا أحدهما ، والآخر بناء مصرفيّ هنديّ يعمل في خدمة شركة الهند الشرقيّة (الغود، ص 399). فقد أسّست هذه الشركة في عدد كبير من موانئ الخليج الفارسي المهمّة محاجر صحّيّة [قرنطينات] ومستشفيات، وافتتحت حوالي العام 1140هـ/1727م مستشفى صغير في غمبرون، تولّى رئاسته الدكتور فوربر⁶². كان بيمارستان البصرة على ما يبدو أهمّ المراكز العلاجيّة التابعة للشركة، وقد نُقل إلى بوشهر بعد أن قرّر كريم خان الزنديّ شنّ حملة على البصرة (م. ن، ص 408، 431). بعد أن بسطت الحكومة البريطانيّة رسميّا سلطتها في المنطقة بديلاً من الشركة، تولّى إدارة هذه البيمارستانات ممثّلو هذه الحكومة السياسيّون. في أوائل القرن الثالث عشر الهجريّ/أو آخر القرن الثامن عشر الميلاديّ أسّس أيضاً "المندوب الدائم" للحكومة البريطانيّة بيمارستانًا في بوشهر (رأيت، ص 122). أسّست شركة البرق الهندوأوروبيّة⁶³، التي كانت في أيدي الإنجليز في بعض نواحي الخليج الفارسي الساحليّة مستوصفات

⁶⁰ - Misericordia

⁶¹ - j. Fryer

⁶² - Anthony Forbes.

⁶³ - Indo-European Telegraph

وصيدليات. تُحسب المحاجر الصحية [القرنطينات] الحدوَّدية الإنجليزية في الموانئ الإيرانية أيضًا من ضمن المراكز العلاجية الجديرة بالذكر، في بداية تأسيس البيمارستانات الحديثة في إيران. كانت هذه القرنطينات تقدم في الموانئ التي تخلو من البيمارستانات والأطباء، خدمات جلٍّ، وكانت بالإضافة إلى مهماتها تقوم بمعالجة المرضى المحليين، لا سيما الفقراء (سديد السلطنة، ص 169). أسس الروس كذلك، الذين كانوا يسعون لإيجاد منطقة نفوذ لهم، أول بيمارستان في العام 1264هـ/1848م لملّاحي سفنهما، وحصلوا على امتياز إنشاء بيمارستان آخر في استرآباد (الغود، ص 512؛ تيموري، ص 269-273). مع ذلك لم يؤدّ هذا النوع من البيمارستانات إلى انتشار البيمارستانات الحديثة في إيران. وذلك على الرغم من أنَّ طبيب بعثة الجنرال غوردن الفرنسي، قد أسس في عصر فتحعلي شاه القاجاري مركزاً علاجياً في العاصمة (الغود، ص 441)، فإنَّ التأسيس الرسمي للبيمارستانات الحديثة في إيران بدأ في عصر ناصر الدين شاه.

في العام 1288هـ/1871م، أمر حسين خان مشير الدولة سبهسالار، نفسيي ناظم الأطباء بإنشاء أول بيمارستان إيراني في طهران على النمط الحديث. أسس هذا البيمارستان في شارع خارج المدينة [اشتهر في ما بعد باسم شارع البيمارستان] (نفسيي، ص 19-20). بنى نفسيي أيضًا، بأمر من سبهسالار، بيمارستانًا حديثًا في مشهد، سُمي دار الشفاء وظلَّ مدةً طويلةً المستشفى الوحيد في مشهد (حكيم الملك، ص 259؛ نفسيي، م. ن، ص. ن). في العام 1300هـ أسس الدكتور جوزيف كوتشران، عضو البعثة التبشيرية الأمريكية في أروميه بيمارستانًا في هذه المدينة باسم "وست مينستر"، وقام بتدریس الطب فيه (إيرانشهر، مج 2، ص 1449). افتُتح في طهران أول بيمارستان أميريكي، كان مركزاً تعليميًّا أيضًا في العام 1311هـ/1893م، وظل يعمل حتى العام 1359هـ/1941م. حيث توقف عن العمل مع بدء الحرب العالمية، وندرة الأطباء (م. ن، مج 2، ص 1449-1450هـ). لكنه بعد مدة استعاد فاعليته، وظل بإدارة الأميركيين حتى أواخر العام 1397هـ/1978م، تاريخ انتصار الثورة الإسلامية.

وَسَعَت البعثة الإنجليزية التابعة لـ "هيئة المبشرين المسيحيين، لندن" أنشطتها الطبية في جنوبي إيران، بسبب اهتمام الحكومة البريطانية بهذه المنطقة، وبنت بيمارستانات مخصصة للرجال وللنساء في كل من إصفهان وكرمان ويزد وشيراز، كانت المستشفيات الأولى في هذه المدن (رأيت، ص 118-122). أسس أول بيمارستان تبشيري، في جلفا، في حي الأرمن، وفي العام 1312هـ/1894م بدأ دورهًّا جديدةً من فاعليته، مع قيام الدكتور كار⁴⁶ إليه. كذلك أَسَّست السيدة ماري برد⁵⁶ مستوصفين في ناحيتين من إصفهان، سرعان ما توقفا عن العمل (الغود، ص 534). بعد تأسيس مركز المبشرين المسيحيين في

⁶⁴ - D. W. Carr

⁶⁵ - Mary Bird

منطقة جلفا في إصفهان، بني أعضاء البعثة، في حرم البعثة الواسع في العام 1314هـ/1896م بيمارستانًا وصيدلية، وبعد ذلك بيمارستانًا للنساء. ومن ثمَّ بنت هذه البعثة التبشيرية بيمارستانًا في يزد في العام 1316هـ/1898م، وأخرَ في كرمان في العام 1319هـ/1901م، وفي العام 1342هـ/1924م بنت بتمويل محمد حسين نمازي، دارَ التوليد في شيراز، الذي تحولَ في ما بعد بمساعدة إدارة البرق الهندي أو روبيَّة إلى بيمارستان كبير (<جهان إسلام>⁶⁶، ص 182). في العام 1343هـ/1925م، أسس الدكتور كار (← الأسطر السابقة) بيمارستان مرسلين في شيراز (الكافطمي)، حيث تاریخ 25-7-2000). مع ذلك كلَّه، يبدو أنَّ السُّكَان المحليين لم يرحبوا في بداية الأمر بهذه البيمارستانات؛ حتى أنَّ أهالي إصفهان لم يسمحوا لأعضاء هذه البعثة ببناء مستشفى في الأحياء التي يسكنها المسلمون، لكنَّ في نهاية المطاف بنى الدكتور كار في العام 1320هـ/1902م مستوصفاً في المدينة، ووهب تاجُّر ثريٍ أيضًا قطعة أرض كبيرة لبناء مستشفى للرجال والنساء. في هذه البيمارستانات كان الطالب يتلقون فنون الطب، ومن ثمَّ سمحت الحكومة الإيرانية لأسانتهم بإصدار شهادات الطب، كما منحت 1333 سهِّماً من ميزانية الدولة لبيمارستان إصفهان (الغود، ص 535). بنت البعثة التبشيرية الأمريكية كذلك في العام 1321هـ/1903م بواسطة الدكتور فانك⁷⁶ بيمارستانًا في همدان، طُورَ في العام 1335هـ/1916م. في العام 1323هـ/1905م شُكِّلَ في طهران أول "مجلس المحافظة على الصحة"، ودونَ له نظامٌ داخليٌّ يفيد بتأسيس قرنطينات [محاجر صحية] في الموانيء الإيرانية، ومركز تلقيح الجدري، وإنشاء بيمارستان خاصٌ بالنساء والرجال (إيرانشهر، مج 2، ص 1404)، وانتقلت إدارة بعض البيمارستانات الأجنبية إلى الحكومة الإيرانية. البعثة التبشيرية الروسية، لم يكن لها نشاط يُذكر في مجال تأسيس البيمارستانات في إيران؛ في العام 1333هـ/1915م أرسل قنصل روسيا القصرين المدعو نيكيتين لجنةً إلى طهران لمكافحة وباء الكولييرا، وقد أسس رئيسها الدكتور كاش بيمارستانًا في المدينة، كان هو المؤسسة الوحيدة التي تحظى بدعم البعثة الأرثوذكسيَّة (تمدن، ص 243-244).

أسس بيمارستان "طهران" الأول بمساعدة الألمان للقوَّات المسلَّحة في أول الأمر، بإشراف الدكتور بولاك⁸⁶ والدكتور شليمير⁹⁶ (رأيت، ص 126-127؛ الغود، ص 512). هذا البيمارستان الذي سُميَّ في بعد "البيمارستان الحكومي" أو "البيمارستان الشاهنشاهي" تدهورت أوضاعه إلى حد تسميته بـ"مقبرة الأحياء" (سِرِّنا، ص 135). وضع المستشفى الحكومي بعد مضي اثنتي عشرة سنة على تأسيسه في خدمة أبناء الشعب، وبُني للجيش مستشفى آخر

⁶⁶- The Moslem World.

⁶⁷- Fank

⁶⁸- Polak

⁶⁹- Schlimmer

(الغود، م. ن، ص. ن)، وقد طلب مظفر الدين شاه بعد وقت وجيز من إيلبرغ⁷⁰ طبيب السفارية الألمانية أن يعمل على تحيث نظامه. تطور هذا المستشفى الحكومي بفضل إشراف هذا الطبيب، الذي كان هو نفسه يعمل فيه، إلى حين مغادرة ممثليات الدول الحليف طهران في محرم من العام 1334هـ/تشرين الثاني- نوفمبر من العام 1915م. غادر إيلبرغ إيران أيضاً، فعُين الدكتور لقمان المالك، طبيب الشاه رئيساً للبيمارستان (م. ن، ص 546)، لكنَّ أوضاع هذا المستشفى اضطربت، لاضطرام أوار الحرب العالمية الأولى، وإعطاء قسم منه للروس، إلى أنْ وافقت الحكومة الإيرانية في العام 1337هـ/1918م، أنْ ترسل إنجلترا طبيبين إليه، وأنْ تمنحه المساعدات المالية. وعمل فيه على أساس هذه الاتفاقية كل من الدكتور نليغان⁷¹ طبيب السفارية البريطانية، والدكتور سكوت⁷² رئيس القسم الطبي في مديرية البرق الهندوأوروبية (رأيت، م. ن، ص. ن)، وثلاثة أطباء إيرانيين هم: لسان شمس المعروف بلسان الحكماء، والميرزا محمد خان العلائي، وموسى خان، بصفتهم أول الأطباء فيه (الغود، ص 546-548). سرعان ما عُرف هذا البيمارستان باسم البيمارستان "الإنجليزي" (رأيت، ص 127). في العام 1340هـ/1922م، حين بدأت الأوضاع السياسية في إيران تتوجه نحو معاداة إنجلترا ونفوذها في البلاد، امتنعت الحكومة البريطانية عن تقديم الدعم المالي للمستشفى، وطلبت إلى شركة النفط الإيرانية - الإنجلizية أن تتولى المحافظة عليه، واستمرَّ البيمارستان يعمل بإشراف الأطباء الإنجليز والإيرانيين (الغود، ص 554). سُميَّ هذا البيمارستان في العام 1358هـ/1940م باسم "سينا" (جمي، ص 421)، وتخلص تدريجياً من سلطة الأطباء الإنجليز، وتولَّ الإيرانيون إدارته بأنفسهم. لا يزال بيمارستان "سينا" حتى اليوم من أكبر البيمارستانات الحكومية وأرفعها مكانة، يُدار بإشراف كلية الطب التابعة لجامعة طهران. بعد تأسيس البيمارستان الحكومي، أسسَت فيسائر المدن الإيرانية بيمارستانات جديدة تدريجياً، بمساعدة الأطباء الأجانب، أو بفضل الإيرانيين. وفي العام 1334هـ/1915م أسسَ في بوشهر فضلاً عن البيمارستان التابع لممثليَّة إنجلترا في المدينة (رأيت، م. ن، ص. ن)، بيمارستان جديد بمساعدة مالية من التجار المحليين، وبدأ عمله بإشراف طبيب إنجلزي، وتولَّت إدارته هيئة مؤلفة من إنجليزيين وإيرانيين (الغود، ص 548). في السنة نفسها أسسَت البعثة التبشيرية الإنجليزية بيمارستانًا في مشهد برئاسة الدكتور كوك، كما أسس أيضًا بيمارستان شاهرضا في تلك المدينة بمساعدة الألمان. في طهران أيضاً قام الدكتور سعيد مالك "لقمان الملك"، الذي كان رئيس مجلس المحافظة على الصحة، ثمَّ رئيس "المديرية العامة للصحة"، بعد تأسيس معهد باستور

⁷⁰ - Ilberg

⁷¹ - Neligan

⁷² - Scott

الإيراني، ببناء البيمارستان الوزيري (إيرانشهر، م. ن، ص. ن)، وعلى أساس الإحصاءات الحكومية في العام 1340هـ/1922م، وصل عدد بيمارستانات طهران إلى ثمانية (شهري باف، مج 1، ص 69). قام كذلك بإصلاح وتطوير البيمارستانات والقرنطينات في الموانئ في جنوب إيران، التي ظل الإنجلiz يُديرها حتى العام 1346هـ/1928م، حيث تولت الحكومة الإيرانية إدارتها، كذلك اشتري سفينة باسم ابن سينا خصصها للأمور الصحية، ولقرنطينات الخليج الفارسي، وتطهير السفن الداخلة في المياه الإيرانية (إيرانشهر، م. ن، ص. ن). في العام 1343هـ/1925م بنت بعثة "راهبات المحبة"³⁷ مستوصفاً في أروميا، وفي العام 1353هـ/1935م مستوصفاً آخر في إصفahan، ومركزًا علاجياً في طهران. قامت "راهبات المحبة" في المستشفيات الحكومية في المدن الإيرانية بأنشطة طبية وخيرية (إيرانشهر، مج 2، ص 1452).

فضلاً عن ذلك، في العام 1351هـ/1933م، بدأ مستشفى باسم المستشفى السوفياتي العمل في طهران، واستمر ناشطاً حتى العام 1403هـ/1938م، حيث توقف العمل فيه، إلى أن أعيد افتتاحه في العام 1361هـ/1943م بطلب من الحكومة الإيرانية، وفي العام 1366هـ/1947م وضع في عهدة اتحاد منظمات جمعيات الصليب الأحمر السوفياتية، وألحق في العام 1403هـ/1983م بجامعة طهران، وأطلق عليه اسم بيمارستان الميرزا كوتشك خان. بعد أن عاد المستشفى السوفياتي إلى العمل في العام 1361هـ/1943م، افتتح فروعاً له في كل من تبريز وأروميه ومشهد.

منذ زمن بعيد، بادر أهل الخير إلى تأسيس البيمارستانات الحديثة. فقد بنى آية الله الحاج السيد رضا الفيروزآبادي، عالم الدين الشهير، صاحب الخدمات، بيمارستانًا كبيراً في العام 1354هـ/1936م في مدينة الرّي، سُمي باسمه (م. ن، مج 2، ص 1405)، وكان يُحسب من البيمارستانات الإيرانية ذات الأهمية. في العام 1368هـ/1949م، أسس تجّار طهران بيمارستانًا باسم "التجّار". في العام 1371هـ/1952م بُني من أموال أبي القاسم مفرح "بيمارستان مفرح" في طهران، وأوكلت إدارته إلى الحكومة، كما ورد في وقفيته. أسست في بعض المدن أيضًا بيمارستانات خيرية بدعم من العلماء، أو بإشرافهم، من بينهم الحاج الآغا نور الله الإصفهاني* في إصفahan، وال الحاج الشيخ عبد الكريم الحائرِي* في قم.

في العام 1356هـ/1938م بدأ بناء البيمارستان البهلوi المعروف الذي يضم ألف سرير (بيمارستان الإمام الخميني، الحالي) في طهران، ووضع قيد الاستخدام في العام 1365هـ/1946م. يُحسب هذا البيمارستان اليوم من البيمارستانات الإيرانية الكبرى. في العام 1357هـ/1939م أسس بيمارستان خاص بمرضى السل في أحد المباني القديمة في شاه آباد (دار آباد) شميران.

⁷³ - Soeurs de charite

هذا البيمارستان طُور في ما بعد، وافتتح أول مبانيه الكبرى في العام 1363هـ/ 1945م (م.ن، مج2، ص1431).

في العام 1359هـ/ 1941م، أنشئت وزارة الصحة، وتولت الإشراف على جميع المحاجر الصحية [القرنطينات] الحودية. ازدادت فعالية الحكومة الإيرانية لا سيما بعد إنشاء وزارة الصحة، لجهة إنشاء بيمارستانات جديدة في إيران. في العام 1360هـ/ 1942م أنشأت هذه الوزارة بيمارستان الفارابي، وبيمارستان النجاة وبيمارستان الشفاء، التي كانت من أكبر المستشفيات الإيرانية. في العام 1364هـ/ 1946م، بُني في محلّة الإمامية في طهران بيمارستان آخر باسم "مصحّة بوعلی"، مخصص لمرضى السل، وطور في العام 1377هـ/ 1958م (م.ن، مج2، ص1432). في العام 1369هـ/ 1950م أسس في جنوبي إيران بيمارستان "شير وخورشيد سُرخ ایران" [مستشفى الأسد والشمس الحمراء الإيراني]. في العام 1370هـ/ 1951م أسست في طهران مؤسسة علم السرطان، بمساعدة جامعة طهران، وجمعية الأسد والشمس الحمراء، تحولت بعد ذلك إلى بيمارستان مجهّز لمرضى السرطان (م.ن، مج2، ص1424). في العام 1376هـ/ 1957م وما بعدها أسست كذلك في معظم المدن الإيرانية بيمارستانات عامة ومتخصصة، بجهود وزارة الصحة، أو كليات الطب، بحيث نرى في المدن الإيرانية الكبيرة والصغيرة، بما يتناسب وعدد سكان المدينة وموقعها الجغرافي ووضعها الاقتصادي، بيمارستانات مجهزة بمصحّات تابعة لها، أو مستقلة عنها، لكنّها كلّها تتبع قانون تأسيس المؤسسات الطبية وإدارتها. في نصف القرن الأخير، بدأ القطاع الخاص أيضًا بتمويل إنشاء بيمارستانات، والمراكمز الاستشفائية العديدة في المدن الإيرانية.

المصادر والمراجع: ابن أبي أصيّبة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، القاهرة 1299-1300هـ/ 1882-1883م؛ م.ن، بيروت 1957م؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ط. محمد عبد المنعم العريان، بيروت 1407هـ/ 1987م؛ ابن البلخي، فارس نامه [تاريخ فارس]، ط. غي لسترنج، وريندول آلن نيكلسون، لندن 1921م، ط. أوفست طهران 1363ش [1984م]؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، بولاق 1291هـ؛ ابن ججل، طبقات الأطباء والحكماء، ط. فؤاد السيد، القاهرة 1955م؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد الدكن 1357-1359هـ/ 1938-1940م؛ ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ط. كرامرس، ليدن 1967م؛ ابن النديم، كتاب الفهرست، ط. رضا تجدد، طهران 1350ش [1971م]؛ عبد الرحيم بن الحسن الأسنوبي، طبقات الشافعية، ط. كمال يوسف الحوت، بيروت 1407هـ/ 1987م؛ إبراهيم بن محمد الإصطخري، كتاب مسالك الممالك، ط. دخويه، ليدن 1967م؛ عباس إقبال الأشتياني، مجموعة مقالات عباس إقبال الأشتياني، قسم 1، جمع وتدوين محمد دبير سياقي، طهران 1369ش [1990م]؛ إيرانشهر، طهران: الجمعية

الوطنية لليونسكو في إيران، 1342-1343ش [1963-1964م]؛ أحمد بن يحيى البلاذري، فتح البلدان، ط. رضوان محمد رضوان، بيروت 1398هـ/1978م؛ ط. أوفست قم 1404هـ؛ محمد تمدن، أوضاع إيران در جنگ اول، يا تاريخ رضائیه [الأوضاع الإيرانية في الحرب العالمية الأولى، أو تاريخ رضائية]، أروميه 1350ش [1971م]؛ تيمور الغوركاني، تزوکات تیموری [القوانين التيمورية]، تحرير أبي طالب الحسيني ترتي بالفارسية، أوکسفورد 1773م، ط. أوفست طهران 1342ش [1963م]؛ إبراهيم تيموري، عصر بی خبری، يا، تاريخ امتیازات در ایران [العصر المجهول، أو، تاريخ الامتيازات في إيران]، طهران 1332ش [1953م]؛ عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، بيروت 1407هـ/1987م؛ جعفر بن محمد الجعفري، تاریخ یزد، ط. إيرج أفشار، طهران 1343ش [1964م]؛ علينقی بن إسماعيل حکیم الممالک، روزنامه سفر خراسان [صحيفة رحلة خراسان]، طهران 1356ش [1977م]؛ أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، ط. عبد المنعم عامر، القاهرة 1960م، ط. أوفست قم 1368ش [1989م]؛ رشید الدین فضل الله، سوانح الأفکار الرشیدیة، ط. محمد تقی دانش بجوه، طهران 1358ش [1979م]؛ نفسه، وقدنامه رباع رسیدی [وقفية الرابع الرشیدی]، ط. مجتبی مینوی وإيرج أفشار، طهران 1356ش [1977م]؛ أحمد بن أبي الخير زركوب الشیرازی، شیرازنامه [تاريخ شیراز]، ط. بهمن کریمی، طهران 1310ش [1931م]؛ عبد الوهاب بن علي السُّبْکی، طبقات الشافعیة الكبرى، ط. محمود محمد الطناحی وعبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة 1964-1976م؛ محمد علي بن أحمد سید السلطنة، بندر عباس و خلیج فارس = اعلام الناس في أحوال بندر عباس، ط. أحمد اقتداری و علي ستایش، طهران 1363ش [1984م]؛ کارلا سرنا، سفرنامه مدام کار لاسرنا: آدمها و آینینها در ایران [مدونة رحلة السيده کار لاسرنا: الناس والعادات والتقاليد في إيران]، ترجمه بالفارسية علي أصغر سعیدی، طهران 1362ش [1983م]؛ جعفر شهری باف، تاریخ اجتماعی تهران در قرن سیزدهم [تاريخ طهران الاجتماعي في القرن الثالث عشر الهجري]، طهران 1367-1368ش [1988-1989م]؛ إبراهيم بن محمد الصریفینی، تاریخ نیساپور: المنتخب من السیاق، ط. محمد کاظم محمودی، قم 1362ش [1983م]؛ محمد بن محمد عماد الدين الكاتب، تاریخ دوله آل سلجوک، اختصار فتح بن علي البنداري، مصر 1318هـ/1900م؛ أحمد عيسى، تاریخ الیمارستانات فی الإسلام، بيروت 1401هـ/1981م؛ أبو القاسم الفردوسی، شاهنامه الفردوسی، نص منقح، مجلد 7، ط. م. ن. عثمانوف، موسکو 1968م؛ حسن بن الحسن الفسائي، فارسنامه ناصری [تاريخ فارس في عهد ناصر الدين شاه]، ط. منصور رستغار الفسائي، طهران 1367ش [1988م]؛

عليّ بن يوسف القسطاني، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط. ليبرت، لايبزيغ 1903م؛ محمد جواد الكاظمي، مؤسسة علم معرفة فارس، شيراز، مقابلة، 3 مرداد 1379ش [25-7-2000]؛ آرتور أمانويل كريستن سن، ایران در زمان ساسانیان [ایران في العصر الساسانيّ]، ترجمه بالفارسية رشید یاسمی، طهران 1351ش [1972م]؛ حسين کریمان، ری باستان [الرَّأْيُ الْقَدِيمَةُ]، مج 2، طهران 1349ش [1970م]؛ محمود نجم آبادی، تاريخ طب در ایران پس از اسلام: از ظهور اسلام تا دوران مغول [تاریخ الطّبّ في إیران بعد الإسلام: منذ ظهور الإسلام حتى العصر المغوليّ]، طهران 1353ش [1974م]؛ ناصر نجمي، طهران عهد ناصری [طهران في عهد ناصر الدين شاه]، طهران 1364ش [1985م]؛ محمود ناظم نسيمي، "ابداع الرسول العربي في فن الصحة"، في أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مج 1، حلب 1977م؛ سعيد نفيسی، "تاریخ البيمارستانات الإيرانية"، شیر و خورشید سرخ ایران [جمعیة الأسد والشمس الحمراء الإيرانية]، السنة 3 ، العددان 9-10 (1330-1329ش [1950-1951م])؛

أجنبي...

/ صادق سجادی